# الفصل الأول

# نشأة القراءات وتطورها

## ١ ـ توثيق النصّ القرآني:

لا أستطيع أن أتحدث عن القراءات القرآنية قبل أن ألقي نظرة عامة موجزة على النص القرآني الذي نشأت عنه هذه القراءات، وقبل أن أعرض نشأة القراءات وتطورها ليعرف القارىء بعض الحقائق عن النّصّ القرآني.

لقد مرت مراحل التوثيق لهذا النص العظيم في مراحل متعددة وفي عهود مختلفة بدأت في عهد الرسول ﷺ، وانتهت في عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي على يده تمت كتابة المصحف على المنهج أو النمط الذي عليه الآن، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد تعرضنا في مقدمة معجم القراءات لهذه المراحل بالتفصيل والتحليل وهو ميسر لمن يريد الاطّلاع على هذه المقدمة.

وأكتفي هنا فقط بمرحلة التوثيق في عهد الرسول ﷺ لأبين أن مرحلة التوثيق تمت في خمس خطوات:

١ ـ نزول القرآن مُنجَّماً أو مجزَّأً، ونزوله بهذه الكيفية يساعد على حفظه وتثبيته في الصدور.

٢ ـ كتابته حين النزول، فقد كان للرسُول ﷺ كُتّاب وحي بذلوا أنفسهم ـ كما يقول ابن الجزري: «في إتقانه وتلقوه منه عليه السلام حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة وسكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وَهْم»[1].

وعلى الرغم من أن كتابة القرآن الكريم حين نزوله حقيقة لا تقبل الشك، وواقع لا يقبل الجدل فإننا نجد بعض المستشرقين أمثال (أرثر

---

(١) النشر ٦/١.

جفري) ينكر هذه الحقيقة، ولا يؤمن بهذا الواقع لتمسكهم ببعض الأحاديث التي لم يفهموها، أو حاولوا تحريف معناها عن سوء قصد.

وقد فنّدنا في مقدمة المعجم هذا الرأي بأدلة مؤداها أنه ليس المراد من أنه ﷺ قبض ولم يجمع في القرآن شيء أنه لم يكن مكتوباً حين ذاك بل المراد أنه قبض ﷺ ولم يجمع في مصحف.

وليس هناك أصرح من الروايات التي تثبت في جلاء أن القرآن كله «كان مجموعاً في عهد الرسول ﷺ وأنه ما نزلت آية إلاّ وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا»[1].

وما لي أذهب بعيداً وهناك من المستشرقين من وقف ضدّ رأي (أرثر جفري) ومن تبعه وعلى رأس هؤلاء المستشرق (ن. بورلي) حيث يقول ما نصه: «بين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته. ولم يشك أحد في صحته كما أنزل أي شك جدّي. وهذا الكتاب هو القرآن، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر خلال حياته.. وأن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات أو يضع جُمَل ربط، أو يحذف أو ينسخ.. لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره.. إلى أن يقول: والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش دون أن يبدل فيه. ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية»[2].

٣ ـ والخطوة الثالثة في التوثيق: التنافس الكبير على حفظ القرآن الكريم، وكثرة تلاوته، فالرسول ﷺ يقول لعبد الله بن عمرو بن العاص: اقرأ القرآن في كذا ليلة.. يدعوه إلى التيسير وهو يقول: إني أطيق أكثر من

---

(١) مقدّمتان في علوم القرآن: ٢٧.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه: ٦٨ ـ ٦٩.

ذلك إلى أن قال له: «اقرأ القرآن في ثلاث ليال»[1].

ومما يدعو إلى الغرابة والإعجاب معاً أن النساء شاركن الرجال في شرف حفظ القرآن الكريم وجمعه وتلاوته. فقد روى السيوطي في الإتقان[2] أنه ظفر بامرأة من الصحابة جمعت القرآن، ولم يعدّها أحد ممّن تكلم في ذلك ثم ذكر ما أخرجه ابن سعد في (الطبقات) أن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن.

٤ ـ والخطوة الرابعة في التوثيق هي أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرضون ما يحفظونه على رسول الله ﷺ، ونذكر من هؤلاء ابن مسعود الذي يقول: قال رسول الله ﷺ اقرأ عليّ ففتحت سورة النساء، فلما بلغت ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾[3] رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال: «حسبك الآن»[4].

٥ ـ والخطوة الخامسة وهي الأخيرة في التوثيق: هي أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان، ففي صحيح البخاري قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما: أسرّ النبي ﷺ إليّ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلاّ حضور أجلي[5].

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧.
(٢) الإتقان ١/ ٧٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٤١.
(٤) غاية النهاية ١/ ٤٨٥.
(٥) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣٢.

**٢ ـ نشأة القراءات:**

بعد هذا العرض لخطوات التوثيق، لنا أن نتساءل بعد ذلك هل تعددت قراءات هذا النص في عهد الرسول عليه السلام بما نسميه قراءات؟

والإجابة عن هذا التساؤل بنعم. فما بين أيدينا من قراءات هو موصول السند والرواية إلى قراءة النبي ﷺ.

وأول نص يطالعنا في تعدد القراءات في عهد الرسول ﷺ ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبّرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟

قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله. اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءات التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أُنزلت. إن هذا القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف بما يقطع الشك في صحة سنده فقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: أذكر أن رجلاً سمع النبي ﷺ قال:

«أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ لمَا قام فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن الرسول ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ»، فقال عثمان رضي الله عنه وأنا أشهد معهم[1].

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٨٥، والإتقان ١/ ٤٥.

### ٣ ـ نشأة القراءات ورسم المصحف:

يرى المستشرق «جولد تسيهر» أن نشأة الكثرة من القراءات ترجع إلى رسم المصحف.

وعجبت لِمَ ينفرد «جولد تسيهر» بهذا الرأي الذي اشتهر به؟ وقلت في نفسي: لم تسرّب هذا الرأي إلى عقله؟ ومن الذي أوحى به إليه؟

ولما وقفت على رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر للآية المشهورة في سورة «الأنعام» ﴿**وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم**﴾[1] ـ تأكد لي أن مصدر الوحي بهذا الرأي هو الزمخشري حيث وقف من قراءة ابن عامر لهذه الآية موقف الناقد.

وبيان ذلك أن ابن عامر كان يقرأ: ﴿**قتلُ أولادَهم شركائِهم**﴾ برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما في غير ظرف.

وكان من رأي الزمخشري أن هذه القراءة مردودة، لأنها مخالفة للقواعد النحوية التي لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف.

وأرجع الزمخشري خطأ ابن عامر في هذه القراءة إلى رسم المصحف حيث قال: «والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء»[2] فالسبب إذاً في هذه القراءة في رأي الزمخشري هو رسم المصحف، ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف، ولم يعتمد على الرواية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

(٢) البحر المحيط: ج ٤/٢٢٩، ٢٣٠.

ومن هنا فتح الباب أمام هذا المستشرق فقال ما قال.

أما الزمخشري، فلم يسكت الباحثون عن رأيه ففندوه، وناقشوه.

يقول أبو حيان: «وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يُردُّ على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقُرّاء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم، وفهمهم، وديانتهم»[1].

وأما «جولد تسيهر» قد تكفل بالرد عليه الدكتور المرحوم عبد الحليم النجار حيث قال معقباً على رأيه في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي» ما نصه: «لم يكن الخط العربي سبباً في اختلاف القراءات، بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية من إهمال النقط والشكل فليست العبرة بالخط، وإلا لاعتمدت قراءات يسمح الخط بها»[2].

ولم يكتف الدكتور النجار بهذا الرد على المستشرق بل تعقّب أدلته التي استدل بها على رأيه ليفندها، ويعلن زيفها.

فقد قال المستشرق: إن الآية ﴿**وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه**﴾[3] كان حماد يقرؤها «أباه» بالباء الموحدة.

فرد عليه الدكتور النجار قائلاً: «هذه قراءة منكرة بالاتفاق، فليست من السبع، ولا الأربع عشرة، ولو كان مجرد الخط كافياً لاعتمدت»[4] ويرى المستشرق: أن الآية ﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون**﴾[5] قرأها بعضهم «تستكثرون» بالثاء المثلثة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٨.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

فرد عليه الدكتور النجار قائلاً: «لم تعتمد هذه القراءة في القراءات السبع ولا الأربع عشرة، بل هي منكرة، ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك، وحسبك هذا دليلاً على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة»[1].

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان رأي: «جولد تسيهر»: «أن هذه القراءات رويت.. وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف، كما كان القرآن محفوظاً في الصدور قبل تدوين المصاحف، وجمع القرآن، ثم حين دوّنت المصاحف لم يكن النقط عرف، ولا الشكل اخترع، فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط فكانت قراءتهم للكلمة، على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرأون في المصاحف»[2].

وفي رأيي أن «جولد تسيهر» خانه التوفيق في هذا الرأي، لأنه لم يجد دليلاً واحداً يعتمد عليه اللهم إلا رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر التي أشرت إليها، وهي ـ كما بيّنت ـ قراءة صحيحة، لا تتعلق برسم المصحف وإنما تتعلق بالرواية والنقل.

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحاً لاضطربت المصاحف وغيرت الآيات، وبدلت كلماتها القرآنية بكلمات أخرى لا تمتّ إليها بصلة، وحينذاك يضيع كتاب الله، وتضيع معالمه، ذلك لأن القارىء الذي لم يتلق القرآن عن طريق المشافهة والسماع يعزّ عليه في كثير من الأحيان أن يقرأ صحيحاً، ومن ثم يعتري قراءته التصحيف، ولا نبالغ إذا قلنا: أن هذه التصحيفات، وقعت من رجال لهم شهرتهم الأدبية، ومقدرتهم اللغوية كالمُبرّد الذي تحدث عن تصحيفه أبو القاسم علي بن حمزة في كتابه «التنبيهات على أغاليط الرواة» فقال:

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩. نصّ على هذه القراءة البحر المحيط ٣٠٣/٤ والكشاف ٦٥/٢ وانظر قراءة رقم ٢٥٣٧ في معجم القراءات والقارىء بها مجهول.

(٢) القراءات واللهجات ص ١٨٣، بتصرف. للأستاذ عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، ط أولى.

قال[1] في قول الفرزدق:

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد  ومات أبو غسان شيخ اللهازم[2]

يعني بسطام بن قيس بن خالد الشيباني، وهو فارس بكر بن وائل ثم قال: . . . «وقتل بالحسن وهو جبل، وهذا غلط منه مركب من تصحيف، إنما الحسن شجر» سمي الحسن لحسنه بكثيب من رمل، ينسب الكثيب إليه، فيقال: نقا الحسن، ويقال ليوم قتل بسطام يوم النقا. قال الفرزدق:

خالي الذي ترك النجيع برمحه  يوم النقا شَرِقاً على بسطام[3]

ثم قال ـ والقائل أبو القاسم ـ: «وكان أبو العباس صحفياً، ومن نقل اللغة في الصحّف صحّف، وإنما وجده جبل رمل، فقال: جبل، وأسقط الرمل»[4].

فإذا كان نقل اللغة من الصحف تصحيفاً، فالأمر كذلك بصدد المصحف فمن نقل القرآن عنه، وأغلق أذنه دون الرواية والنقل، وقع في التصحيف.

فحماد الراوية حفظ القرآن من المصحف، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه» بالباء الموحدة[5].

---

(١) القائل أبو العباس المبرد.

(٢) اللهازم: لقب بني تَيْم الله بن ثعلبة، انظر: أقرب الموارد: ص ١١٦٥ ج ٢، لسعيد الخوري الشرتوني، مطبعة مرسلي اليسوعية سنة ١٨٨٩ م.
وفي ديوان الفرزدق: وقد مات بسطام بن قيس وعامر (ج ٢ ص ٧٦٥، مطبعة الصاوي).

(٣) ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٨٥٠، من قصيدته التي يناقض بها جريراً، مطبعة الصاوي.

(٤) التنبيهات على أغاليط الرواة: ص ١٤٧: أبو القاسم علي بن حمزة، مخطوط ٢٢ لغة، مكتبة الشنقيطي.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي: ص ٩.

وروي أن حمزة الزيات: «كان يتعلم القرآن من المصحف، فقرأ يوماً - وأبوه يسمع - «الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه»[1] فقال أبوه: دع المصحف، وتلقى من أفواه الرجال»[2].

وحدث إسماعيل بن محمد البسري قال: «سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ: «وجعل السقاية في رجل أخيه»[3] فقلت له: ما هذا؟ قال: تحت الجيم واحدة؟»[4].

ومن أجل هذه التصحيفات التي تخل بمنطق الآيات قالوا: «لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي»[5].

والتصحيف في القرآن من أهم الأسباب التي جعلت أولي الأمر يهتمون بتنقيط المصحف.

وذلك أن الناس: «غبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كُتَّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات»[6].

ومن عجب أن هذه التصحيفات عدّها ذلك المستشرق قراءات، وبين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١، ٢. بالزاي والتاء.
(٢) التصحيف والتحريف: ص ٩.
(٣) سورة يوسف: الآية ٧٠.
(٤) التصحيف والتحريف: ص ٩
(٥) التصحيف والتحريف: ص ٩
(٦) وفيات الأعيان: ج ١ ص ١٢٥، ط ١٣١.

أنها نشأت عن خط المصحف، وغاب عن ذهنه أن القراءات مصدرها قراءة رسول الله ﷺ، وتَلْقينها لأصحابه، وهؤلاء لقّنوها لغيرهم حتى وصلت إلينا، وستصل إلى غيرنا بالطريقة نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإلى هذا الوقت نجد معلم الكتاب، يبتدىء مع التلميذ الصغير أول ما يبتدىء بتحفيظ القرآن قبل أن يجيد القراءة والكتابة، لإيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط أو الرسم.

وإذا نظرنا إلى الأمصار الإسلامية وجدنا أن كل مصر التزم قراءة قارىء بعينه مع احتمال رسم المصحف لهذه القراءة، وأن القراء انتشروا في الأمصار ليعلموا الناس قراءة القرآن، إيماناً منهم بأن المصحف وحده لا يغني شيئاً في مجال القراءة.

ففي مصر أول من قرأ القرآن بها: «هو أبو أُمية عبيد بن محمد المغافري.

وكانت القراءات بمصر رواية عن نافع نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش...

ويحدثنا السيوطي أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعاً إلى مصر ليعلم المصريين فأقام نافع بمصر مدة طويلة..

وأخذ الأندلسيون قراءة نافع عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري المتوفى سنة ١٣١ هـ»[1].

وبعد، أفلم يكن ـ أيها المستشرق ـ لدى المصريين أو الأندلسيين مصاحف يقرأون فيها، ويستغنون بها عن نافع وغيره من القراء؟.

إذا كان الأمر يتعلق بقراءة القرآن الكريم حيثما اتفق لصح ذلك ولكن قراءة القرآن دعامتها الرواية والمشافهة كما بيّنت لك.

* * *

(١) أدب مصر الإسلامية: ص ٣٦: الدكتور محمد كامل حسين، بتصرف. مطبعة الوفد.

## ٤ ـ القراءات ولهجة قريش:

قبل نزول القرآن الكريم كانت للغة قريش أو لهجتها السيادة على اللهجات العربية الأخرى، وقد استطاعت أن تصل إلى هذه السيادة بعد مراحل متعددة من احتكاك اللهجات العربية بها، فكانت لهجة قريش تأخذ من هذه القبائل ما تحتاج إليه حتى تم تكوينها، وسهل قيادها، وكمل تهذيبها.

وقد ساعدها على ذلك عدة عوامل مختلفة ـ سجلتها في كتابي ـ: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة[١].

على أن هذه السيادة للهجة القريشية ليس معناها أن قريشاً فرضت لهجتها فرضاً، فاللهجات التي يحتك بعضها ببعض، تتأثر كل لهجة منها بالأخرى، منتصرة كانت أو غير منتصرة، لأن قوانين اللغات تقرر: «أن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها بل إن طول احتكاكها باللغات الأخرى، وشدة كفاحها معها، وما تبديه بعض اللغات المقهورة من مقاومة.. كل ذلك وما إليه يترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والقواعد، والأساليب، وينقل إليها كثيراً من مفرداتها ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة. فاللغة الغالبة تعمد في العادة إلى خصمها المقهور، فتمتص منه ما تحتاج إليه، وتستلبه ما يعوزها قبل أن تجهز عليه»[٢].

---

(١) نشر دار الشروق ببيروت ١٩٨٠ م ومؤسسة الرسالة طبعة ثانية.

(٢) فقه اللغة: ص ١١٢: الدكتور علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ثالثة.

ومعنى ذلك أن لهجة قريش اشتملت على خصائص كثيرة من لهجات القبائل العربية الأخرى. فإذا قلنا: إن القرآن نزل بلغة قريش لا نقصد أنه غض النظر عن لغات القبائل الأخرى، وإنما نقصد أنه نزل بلغة قريش، لأنها اللغة النموذجية الأدبية التي تكوّنت بعد مراحل متعددة، والتي اشتملت على كثير من خصائص لهجات العرب الأخرى.

وبهذا الاعتبار لا تصبح لغة قريش غريبة على ألسنة وأسماع القبائل الأخرى، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ليكون معجزاً للعرب جميعاً.

وإذا كان الشأن كذلك فَلِمَ لم يلتزم القرآن الكريم هذه اللهجة وحدها لتكون قراءة الجميع؟ وبذلك يغلق الباب أمام القراءات التي لا تكون دعامتها لهجة قريش.

أقول: لو كان الأمر كذلك لما تمت المعجزة، وادّعى كثير من المكابرين أن القرآن الكريم نزل بالأفصح مما يعزّ على الفصحاء أن يأتوا بمثله.

ولو نزل بالفصيح وحده لكان من الممكن للفصحاء من القبائل الأخرى أن يأتوا بمثله.

وليقطع القرآن الكريم دابر هؤلاء المغرضين نزل بعضه بهذه اللهجات غير لهجة قريش، ليكون تحديه أتم، وقدرته أبلغ في باب الإعجاز.

قال ابن الجزري: «لو جاء القرآن كله بالأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، وإذ يقال مثلاً: إنه جاء بما لا قدرة للعرب على جِنْسِه، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى: قد غلبتك بنظري، لأن الأعمى يقول له: إنما تتم تلك الغلبة، لو كنت قادراً على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري، أما إذا فقد أصل النظر، فكيف تصح منّي المعارضة»[1].

---

(١) من مقال للمرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان عنوانه: «القرآن واللغة» بمجلة الأزهر، المجلد ٢٢ ص ٦٠٠.

هذه ناحية، وناحية أخرى ـ غير الإعجاز ـ هي الانتفاع بالقرآن الكريم وحفظه، والترغيب في تلاوته، ومداومة النظر فيه، وذلك لو كان بلغة قريش وحدها لما استطاعت هذه القبائل أن تحقق هذه الغاية لأنه بلهجة غير لهجتها.

ولعل قائلاً يقول: إذا كانت اللغة القرشيّة مفهومة لدى العرب لا يصعب فهمها، فلا داعي لتعدد هذه القراءات؟

أقول: إن الفهم شيء والنطق بهذا المفهوم شيء آخر، فقد يصعب على هذه القبائل أن تمرن ألسنتهم على لهجة قريش، بعد أن أصبحت لهجتهم جزءاً من كيانهم، ومن ثم كانت الحكمة واضحة، والعلة ظاهرة في أن ينزل القرآن الكريم بلهجة قريش وغيرها من اللهجات.

* * *

## ٥ ـ الأحرف السبعة والقراءات:

روى البخاري قال: «حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه. فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟. قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة «الفرقان» على حروف لم تقرئنها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله. إقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ: فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت. ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ، كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[١].

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف. فقد «روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً: وهو على المنبر ـ أذكّر أن رجلاً سمع النبي ﷺ قال: إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: أُنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فقال عثمان رضي الله عنه، وأنا أشهد معهم»[٢].

---

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٨٥، المطبعة الأميرية، سنة ١٣١٢.

(٢) النشر: ج ١ ص ٢١.

واختلف علماء العربية في تفسير هذا الحديث الشريف اختلافاً كبيراً إلى حدّ أن روى له السيوطي في كتابه «الإتقان» أربعين وجهاً[1].

ونحن لا نستطيع أن نسجل هذه الآراء جميعاً لنوازن بينها، ونصل إلى الصحيح منها، لأن ذلك صعب عسير، ونكتفي في هذا المقام بذكر بعض الآراء للمشهورين من علماء اللغة، والنحو والقراءات.

## ١ ـ رأي ابن قتيبة:

قال ابن قتيبة: «وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

**أولها**: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب. ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: ﴿**هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم**﴾[2] «وأطهرَ لكم»، ﴿**وهل نجازي إلا الكفورَ**﴾[3]، «وهل يجازي إلا الكفور».

**والوجه الثاني**: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: ﴿**ربنا بَعْدْ بين أسفارنا**﴾[4]، و «ربنا باعِدْ بين أسفارنا»[5]. الخ...

**والوجه الثالث**: أن يكون الاختلاف في الكلمة، بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله: ﴿**إن كانت إلا زقية واحدة**﴾[6] و﴿**صيحة**﴾، و﴿**كالصوف المنفوش**﴾، و﴿**كالعهن**﴾[7].

**والوجه الرابع**: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها

---

(١) الإتقان: ج ١ ص ٤٥، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.
(٢) بضم الراء وفتحها. سورة هود: الآية ٧٨.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٧.
(٤) بفتح الباء مع تشديد العين وسكون الدال. سورة سبأ: الآية ١٩.
(٥) باعد خفيفاً بألف.
(٦) سورة يس: الآية ٢٩.
(٧) سورة القارعة: الآية ٥.

ومعناه نحو قوله: ﴿وطلع منضود﴾ في موضع ﴿وطلح منضود﴾[1].

**والوجه الخامس**: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: ﴿**وانظر إلى العظام كيف ننشزها**﴾[2] وننشرها.

**والوجه السادس**: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾[3] وفي موضع آخر: ﴿**وجاءت سكرة الحق بالموت**﴾.

**والوجه السابع**: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿**وما عملت أيديهم**﴾[4]، ﴿**وما عمله أيديهم**﴾[5].

**= رأي ابن قتيبة بين المؤيدين والمعارضين:**

**من المؤيدين لابن قتيبة:**

الشيخ محمد بخيت المطيعي حيث رد على ابن عبد البر الذي أنكر أن يكون معنى الأحرف اللغات لاختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة.

قال الشيخ بخيت «وأقول: إن معنى نزوله باللغات المذكورة هو أن الله أذن بقراءته بكل لغة فيها، فلا مانع أن هشاماً يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش أيضاً، فيكون قد تعلم من النبي ﷺ القراءة بلغة قريش، وبلغة غيرهم»[6].

ومن المؤيدين لابن قتيبة الدكتور إبراهيم أنيس حيث استدل برأي ابن قتيبة في أن المراد بالأحرف اللغات قال: «وقال ابن قتيبة في كتابه «المشكل» فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرىء كل أُمة

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٢٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٣) سورة ق: الآية ١٩.
(٤) سورة يس: الآية ٣٥.
(٥) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٨، ٢٩: تلخيص وتصرف.
(٦) الكلمات الحسان في الحروف السبعة: ص ٥٩. للشيخ محمد بخيت المطيعي، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٢٣، ط أولى.

بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ: عتى حين، والأسدي: يقرأ: «تعلمون» بكسر التاء، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز[1].

**ومن المعارضين لرأي ابن قتيبة ابن عبد البر:**

قال ابن عبد البر: «أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر، ولغتهما واحدة»[2].

وفي رأي ابن عبد البر أن المراد بالأحرف السبعة: «سبعة أوجه من المعاني المتفقة. بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل، وهلم، وتعال»[3].

وأراد ابن حجر أن يوفق بين الرأيين، رأي ابن قتيبة، ورأي ابن عبد البر فقال: «ويمكن الجمع بين القولين، بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات»[4].

* * *

**٢ ـ رأي الطبري:**

قال أبو جعفر الطبري بعد أن ساق الأحاديث المتعدّدة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

«صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه. فإن قال: وما برهانك على معنى قول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»، وقوله: أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيته من أنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر، وترغيب وترهيب،

---

(١) اللهجات العربية: ص ٣٨.

(٢) لطائف الإشارات في علم القراءات: ورقة ٩: لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، مخطوط رقم ١٦١، قراءات دار الكتب.

(٣) المصدر نفسه والصفحة. (٤) المصدر نفسه والصفحة.

وقصص، ومثل، ونحو ذلك من الأقوال، فقد علمت أن قائلي ذلك من سلف الأمة، وخيار الأئمة»[1].

ويجيب الطبري مدللاً على رأيه بقوله: «إنّ عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب.. تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني، ثم احتكموا فيه إلى النبي ﷺ فاستقرأ كلّ رجل منهم، ثم صوب جميعهم في قراءاتهم على اختلافها..

ثم قال: ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد، وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ﷺ، ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه»[2].

## رأي الطبري بين المؤيدين والمعارضين:

يؤيد الطبري في هذا الرأي أبو عبد الله الزنجاني فقد قال: «المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة. نحو: أقبل، وهلم وتعال، وعجل وأسرع، وأخر ومهل، وامض وأسر. وهذا الوجه هو ما اختاره الطبري في مقدمة تفسيره. ثم يقول الزنجاني: وهذا الوجه هو الذي لا يراه العقل بعيداً، فإن الاختلاف لو كان في المعنى بسبعة أوجه يفسر بها المعنى، فقد يفضي إلى معنيين متضادين، فكيف يجيز النبي ﷺ خلاف ما أراد الله بيانه من الآية.

ثم استدل بما رواه الأعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿**إنّ ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا**﴾[3]، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي أقوم، فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى واحد»[4].

---

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٥: أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦، بتصرف. (٣) سورة المزمل: الآية ٦.

(٤) تاريخ القرآن: ص ١٥ ـ ١٦: لأبي عبد الله الزنجاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ويعارض الطبري في هذا الرأي الدكتور صبحي الصالح فيقول: «إن علماء الغرب يؤيدون وجهة الطبري لحاجة في نفس يعقوب، وتشبُّثُ «بلاشير» بهذا يؤكد أن نظرية القرآن بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص يثبته على ما يهواه»[1].

* * *

### ٣ ـ رأي أبي حاتم السجستاني:

قال أبو حاتم السجستاني: «نزل بلغة قريش، وهذيل وتميم، والأَزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر»[2].

### نقد هذا الرأي:

استنكر هذا الرأي ابن قتيبة، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني. أما ابن قتيبة فقد قال ـ ورائده في قوله ـ قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾[3] «فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش، وبذلك جزم أبو علي الأهوازي»[4].

وأما القاضي أبو بكر فقد قال ما نصه: «إن الظاهر في قوله تعالى: ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً**﴾[5] أنه نزل بجميع ألسنة العرب، ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن، أو قريشاً فعليه البيان لأن اسم العربي يتناول الجميع تناولاً واحداً، ولو ساغت هذه الدعوة لساغ لآخر أن يقول: نزل بلسان بني هاشم مثلاً لأنهم أقرب نسباً إلى النبي ﷺ من سائر قريش»[6].

* * *

---

(١) مباحث في علوم القرآن: ص ١٣٧. (٢) لطائف الإشارات: ورقة ٩ مخطوط.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤. (٤) لطائف الإشارات: ورقة ٩.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٣. (٦) لطائف الإشارات: ورقة ٩

### ٤ ـ رأي أبي شامة:

نقل العلامة أبو شامة عن بعضهم أنه نزل أولاً بلسان قريش، ومَن جاورهم من العرب الفصحاء.

ثم أبيح للعرب أن تقرأه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب.

ويدل على ما قاله ما ثبت أن ورود التخفيف كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي ﷺ وهو عند «أضاة»[1] بني غفار، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرىء أُمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته، ومغفرته، فإن أُمتي لا تطيق ذلك»[2].

### ٥ ـ رأي الرازي:

يذهب الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوائح» إلى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

**الأول**: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير وتأنيث.

**الثاني**: اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.

**الثالث**: اختلاف وجوه الإعراب.

**الرابع**: الاختلاف بالنقص والزيادة.

**الخامس**: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

**السادس**: الاختلاف بالإبدال.

**السابع**: اختلاف اللغات[3].

---

(١) أضاة بني غفار بفتح الهمزة، والضاد المعجمة، وآخره تاء تأنيث موضع بالمدينة المنورة نسب لبني ـ غِفار بكسر المعجمة.

(٢) لطائف الإشارات: ورقة ٩.

(٣) نقلاً من «مناهل العرفان في علوم القرآن»: ص ١٤٨: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.

وهذا الرأي يختاره اثنان من المحدثين.

أما أحدهما فهو الشيخ الزرقاني حيث يقول: «والذي نختاره بنور الله وتوفيقه من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في «اللوائح»»[1].

وأما ثانيهما فهو الدكتور صبحي الصالح، فإنه يختار رأي الرازي مع التعديل فيه، وهذا التعديل يتمثل في «الاختلاف في الحروف نحو يعلمون، وتعلمون.. ثم نقد اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر في جعلها وجهاً خاصاً قائماً برأسه مع أنه يندرج تحت وجه الاختلاف في الإعراب»[2].

* * *

**١ ـ رأي ومناقشة:**

إذا نظرنا إلى هذه الآراء ـ التي عرضنا طرَفاً منها ـ لا نخرج بحقيقة تريح النفس في هذا الموضوع، فلكل رأي أدلته، والأدلة إذا اختلفت، والآراء إذا تناقضت عزّ على الباحث في مجالها أن يطمئن إلى رأي، أو يركن إلى دليل.

والواقع أنه لا داعي لهذه الاختلافات، فالحديث معناه واضح لا يحتاج إلى تأويل أو تخريج، ذلك لأنّ رسول الله ﷺ يريد أن يبّين لنا أن القرآن الكريم نزل بلهجات متعدّدة من لهجات العرب ليتيح للعرب جميعاً أن يتدبروا معانيه، ويكثروا من التلاوة فيه، فنزل بهذه اللهجات للتيسير والتسهيل. وإن كان معظمه بلغة قريش، لأن قريشاً ـ كما بيّنت ـ قد نهضت لغتها وأصبحت اللغة السائدة في المواسم، والأسواق، وعِلْيَة القوم من الفصحاء الذين لم ينتموا إلى قريش كانوا يتخذون لغة قريش في الأدب والشعر، ولغة الخطابة والبيان «وليؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة،

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ص ١٤٥، ص ١٤٦.

ويترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقته كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات الخاصة التي تتصل بلهجة من اللهجات، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها، وألفوها جميعاً، كذلك كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة، أو عجعجة، أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم، وإلاّ فكيف كان من الممكن أن يُفضّل شاعر على شاعر في تلك المناظرات، إذا كان المقياس مختلفاً، وأداة القول متباينة.

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة، مختارة الألفاظ، يعمد إليها الشاعر، والخطيب كلما عنّ له القول، وتلك كانت اللغة النموذجية»[1].

وحتى لا يكون القرآن الكريم وقفاً على الخاصة من القبائل العربية الذين يجيدون لغة قريش نزل بعضه بلهجات القبائل الأخرى بجانب لهجة قريش، ليكون الانتفاع به أكمل، والهداية به أشمل.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لهجتهم، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله ﷺ، وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنّبها الفصحاء كالكشكشة[2] في ربيعة ومضر، والعنعنة[3] في لغة قيس وتميم، والفحفحة[4] في لغة هذيل[5] إلخ...

ولعل معترضاً يقول: كيف تقول ذلك: وقد وردت في القرآن قراءة ابن مسعود «عتى حين»؟[6].

---

(١) اللهجات العربية: ص٢٧، ٢٨.

(٢) الكشكشة: يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون: رأيتكش وعليكش.

(٣) العنعنة: يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً.

(٤) الفحفحة: يجعلون الحاء عيناً.

(٥) انظر: المزهر: ج ١ ص ٢٢٢، مطبعة الحلبي، ط ثالثة.

(٦) سورة يوسف: الآية ٣٥.

وللإجابة عن هذا الاعتراض أقول: إن ابن مسعود لعله سمع من النبي ﷺ هذه القراءة في هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن في غير سورة «يوسف» مع تكرر «حتى حين» في غيرها.

وهذا يدل دلالة واضحة على التقيد بالقراءة المسموعة فحسب، ولو كان هناك إطلاق للقراءة على حسب ما يدعي بعض المحدثين لقرئت «حتى»: «عتى» في كل آية توجد فيها. هذه ناحية.

وناحية أخرى، قد يحتملها الموقف وهي أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهذلي فقرأها كما قرأ من غير أن يسمعها، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك روايات تسند إلى النبي ﷺ في ذلك.

وأردت أن أتحقق من هذلية ابن مسعود لأن ابن مسعود كان من السابقين في الإسلام بمكة، فخيل إلي أنه قرشي، وإذا كان كذلك فمن العجب أن يقرأ «عتى حين» ـ فرجعت إلى «أسد الغابة» فوضعت يدي على الحقيقة التي تنص على أن ابن مسعود هذلي من قبل أبيه، ومن قبل أُمه أيضاً.

يقول ابن الأثير هو: «عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب... إلى أن قال: ابن تميم بن سعد بن هذيل... وأُمه: أُم عبد بنت عبدود بن سواء من هذيل أيضاً»[1].

فالقراءات إذاً ليسَ مصدرها هذه اللهجات المتعّددة، وإنما مصدرها قراءة النبي ﷺ.

لهذا فإننا ننكر رأي من قال: أن القراءات ليست من الوحي، فهو رأي مرفوض ومردود.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ٣ ص ٢٥٦: لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، ط سنة ١٢٨٦ هـ.

ونص صاحب الرأي على أن: «القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً، ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها، وقد حاولوا فيها بالفعل وتماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضاً، ولم نعلم أن أحداً من المسلمين كفر أحداً لشيء من هذا، وليست هذه القراءات بالأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن»[1].

لست أدري ما الذي حمل هذا الكاتب أن يلقي هذا الكلام على عواهنه؟

إن كل كلمة في هذا النص تحمل دليل زيفها، وحجة بطلانها، ولو فكر قليلاً لما تجرأ أن يصدر هذا الحكم قبل أن يلم بما قيل في هذه القضية وقد تكلم الباحثون قبله في القراءات، واختلفوا، وتباينت آراؤهم، ولكن أحداً منهم لم يقل مثل هذا القول، نعم حدث من ابن مقسم وابن شنبوذ ـ كما سنبينه بعد ـ أن أصدرا آراء في القراءات كانت لهما فيها وجهات نظر، ومع ذلك عذبا حتى رجعا عن آرائهما.

ويميل أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن القراءات ترجع إلى اختلاف القبائل بيد أنه كان محترساً كل الاحتراس في كل كلمة قالها حتى لا يمس الحقيقة المستقرة في الأذهان التي تنص على أن القراءات مرجعها الوحي لا اللغات.

يقول الدكتور أنيس: «فالمسلم أياً كانت لهجته، وأياً كانت بيئته، وأياً كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها، وتعودها، ولم يقدر إلا عليها يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته، ويجب ألا ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته، فقد حاول، وبذل الجهد، فله أجر اجتهاده»[2].

---

(١) في الأدب الجاهلي: ص ٩٥: الدكتور طه حسين، ط دار المعارف بمصر.
(٢) اللهجات العربية: ص ٣٧، ٣٨.

وإني أختلف مع أستاذنا في هذا الرأي، فلو سلمنا بما قال: لتعددت القراءات من قبيلة إلى قبيلة، بل من فرد إلى فرد فقد ينطق الفرد متأثراً بقبيلته في مخارج الحروف وغيرها من المظاهر اللغوية الأخرى، وقد يكون لهذا الفرد عيوب خاصة في نطقه كاللثغة «التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون بُثْرة، إذا أرادوا بُسْرة[1]، وبثم الله إذا أراداً بسم الله...

وكاللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعّف على عدد لثغة اللام: فمنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو: قال: عمي، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو: قال عمذ، فيجعل الراء ذالاً»[2].

أقول: إن هذه اللثغة المعيبة قد تكون على رأي الدكتور أنيس قراءات فضلاً عن أنه ـ كما قدمت ـ لكل قبيلة عيوب خاصة تتنافى مع الفصاحة، فتصبح هذه العيوب قراءات، وبذلك تضرب الفوضى أطنابها في قراءات القرآن مما يؤدي إلى اختلاط الأمر بين القراءات الصحيحة، وغيرها من القراءات الأخرى التي قد تشتمل على العيوب العامة لكل قبيلة، أو العيوب الخاصة في بعض الأفراد.

وثمة دليل آخر، يؤيد ما ذهبت إليه من أن القراءات ليس مرجعها اللغات المختلفة للقبائل على الإطلاق من غير أن تقيد بالسّنة أو الرواية، إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان ـ كما بيّنت سابقاً ـ وكلاهما قرشي، فبم نفسّر هذا؟ هل اختلفت قريش، وهي قبيلة واحدة في قراءاتها؟

أكبر الظن أن المقاييس اللغوية الحديثة لا تثبت أمام هذه الحقيقة، حقيقة تغاير القبيلة الواحدة في نطقها بعض الكلمات.

---

(١) البُسرة: التمر.

(٢) البيان والتبيين: ص ١/ ٣٤ ـ ٣٤ بتصرف. للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط ثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وإنما مرجع ذلك إلى أن أحدهما سمع من النبي ﷺ قراءة بعض آيات من سورة «الفرقان» بلهجةٍ ما، وسمعها الثاني بلهجة أخرى، فأخذ كل منهما بالقراءة التي سمعها، وهذا لا يتنافى في أنهما قرآ بغير لهجتهما، لأن القرآن الكريم لم تنزل كل كلمة فيه بلهجات متعدّدة وإنما نزل بعض آياته ببعض اللهجات فحفظها الصحابة كما سمعت بغض النظر عن تلاقيها مع لهجتهم أو عدم تلاقيها.

ويؤيد ما ذهبت إليه أيضاً ما يقرره الرافعي من أن القراءات ترجع إلى عهد النبي ﷺ، وعهد أصحابه فيقول: «يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم، فقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة: عثمان، وعلي، وأُبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، وعنهم أخذ كثير من الصحابة، والتابعين في الأمصار، وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ»[1].

وفي إشارة ابن حجر في كتابه «فتح الباري» تأكيد لهذه الحقيقة التي ذهبتُ إليها، فقد نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: «أنزل القرآن أولاً بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم استعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة».

قال ابن حجر: «وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعي في ذلك السماع من النبي ﷺ»[2].

أما الناحية العددية في الحديث فإني أوافق أستاذنا الدكتور على أن المراد مجرد التعدد، وليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة، وذلك

---

(١) إعجاز القرآن، والبلاغة النبوية: ص ٥١: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، ط سادسة.

(٢) فتح الباري: ص ٢٢ ج ٩: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المطبعة البهية، سنة ١٣٤٨ هـ بمصر.

«لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب العربية»[1].

**٢ ـ أمثلة تؤيد أن نشأة القرارات أساسها اللهجات أو اللغات التي نزل بها القرآن الكريم:**

**أ ـ قراءات بلغة هذيل:**

**١ ـ ﴿ثلاث عوَرات لكم﴾[2].**

قال السيوطي في موضع اتباع العين لحركة الفاء: «فإن كان حرف العلة غير مجانس للحركة ـ نحو: جوزة، وبيضة، فجمهور العرب على التسكين ولغة هذيل الإتباع، قرأ بعضهم **﴿ثلاث عوَرَات لكم﴾** بالتحريك»[3].

**٢ ـ ﴿فلأمه الثلث﴾[4].**

قال أبو حيان: «وذكر سيبويه أن كسر الهمزة من (أم) بعد الياء والكسر لغة. وذكر الكسائي والفراء أنها لغة هوازن وهذيل»[5].

**٣ ـ ﴿يا بشراي هذا غلام﴾[6].**

قال أبو حيان: «قرأ أبو الطفيل، والحسن بن أبي إسحاق، والجحدري «يا بشريّ» بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء الإضافة وهي لغة هذيل ولناس غيرهم»[7].

**٤ ـ ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾[8].**

قال أبو حيان: «قرأ الأعمش، وأبو حيوة: **﴿يعرجون﴾** بكسر الراء، وهي لغة هذيل»[9].

---

(١) اللهجات العربية: ص ٣٩.
(٢) بفتح الواو، سورة النور: الآية ٥٨.
(٣) همع الهوامع: ج ١ ص ٢٣، بتصرف.
(٤) بكسر الهمزة، سورة النساء: الآية ١١.
(٥) البحر المحيط: ج ٣ ص ١٨٤، ١٨٥.
(٦) سورة يوسف: الآية ١٩.
(٧) البحر المحيط: ج ٥ ص ٢٩٠.
(٨) سورة الحجر: الآية ١٤.
(٩) البحر المحيط: ج ٥ ص ٤٢٨.

٥ ـ ﴿فمن تبع هدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون﴾[١].

قال أبو حيان: «وقرأ عاصم الجحدريّ، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر: «هُديّ» بقلب الألف ياء، وإدغامها في ياء المتكلم إذا لم يمكن كسر ما قبل الياء، لأنه حرف لا يقبل الحركة وهي لغة هذيل، يقلبون ألف المقصور ياء، ويدغمونها في ياء المتكلم». وقال شاعرهم:

سبقوا هوَيَّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا[٢] ولكل جنب مصرع[٣]

٦ ـ ﴿يوم يأتي﴾[٤].

قال الزمخشري في الكشاف: «يوم يأت، بغير ياء، ونحو قوله: لا أدر، حكاه الخليل وسيبويه، وحذف الياء، والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في هذيل»[٥].

* * *

ب ـ قراءات وردت بلغة تميم:

١ ـ ﴿الحمد لله﴾[٦] بكسر الدال بدلاً من ضمها، بشهادة النحوي المصري النحاس المتوفى ٣٣٨ هـ كانت صيغة «الحمد لله على هذه النحو خاصة بلهجة تميم»[٧].

٢ ـ في الضمير أنا.

قال الهمع: «وفي الألف لغات ـ يقصد ألف أنا ـ إثباتها وصلاً ووقفاً، وهي لغة تميم، وبها قرأ نافع»[٨].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٨.
(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: اعنقوا ـ بادروا. تخرموا ـ استؤصلوا. انظر: شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٦٤: تحقيق محيي الدين، المطبعة الرحمانية.
(٣) البحر المحيط: ج ١ ص ١٦٩. (٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج ٢ ص ٣٣٥.
(٦) سورة الفاتحة: الآية ١. (٧) العربية: ص ٣٢: يوهان فك.
(٨) الهمع: ج١ ص ٦٠.

ج ـ قراءات وردت بلغة قيس وأسد:

قال السيوطي في الهمع: «وقد تسكن هاء هو وهي بعد الواو والفاء وثم واللام، وقرىء بذلك في السبع، ﴿وهو معكم﴾[1]، ﴿فهوَ وليهم﴾[2] ثم قال السيوطي: بعد ذلك: وتسكين الواو والياء لغة قيس وأسد»[3].

* * *

د ـ لغات قبائل أخرى:

﴿إنْ هذان لساحران﴾[4].

قال الجاربردي: «ذكر الواحدي في الوسيط في تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا إنْ هذان لساحران﴾ أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب ثم قال: إجماع النحويين على أن هذه لغة حارثية، وذلك أن بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد»[5].

وقال ابن جماعة: «نسبها إلى بني الحارث من النحويين الكسائي ونسبها أيضاً إلى خثعم، وزبيد، وهمدان. ونسبها أبو خطاب لكنانة. وبعضهم لبني العنبر وعذرة، ومراد، وغيرهم»[6].

* * *

هـ ـ لغات متداخلة:

﴿ويُهْلك الحرث والنسل﴾[7].

قال العكبري: «يقرأ برفع الكاف أي وهو يهلك، ويقرأ بفتح الياء

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.
(٢) سورة النحل: الآية ٦٣. (٣) الهمع ج ١ ص ٦١.
(٤) بسكون النون، سورة طه: آية ٦٣.
(٥) شرح الجاربردي على الشافية: ج ١ ص ٢٧٧.
(٦) حاشية ابن جماعة على شرح الشافية: ج ١ ص ٢٧٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

واللام، ورفع الحرث وهي لغة ضعيفة، لأن الماضي هلك بفتح اللام، فيكون المستقبل مكسور اللام.

ومن فتح اللام في المستقبل جاز أن يكون هلك بكسر اللام، وهي لغة مجهولة أو يكون لغتين من قبيلتين تداخلتا»[1].

* * *

**و ـ لغات غير منسوبة:**

**١ ـ ﴿حجراً محجوراً﴾[2].**

قال ابن السِّكيت: «حجر الإنسان وحجره، ويقرأ «حِجراً محجوراً». و «حَجراً محجوراً»[3].

**٢ ـ ﴿حتى يبلغ الهَدْيُ محلَّهُ﴾[4].**

قال ابن السكيت: «الهدي لغتان بالتشديد والتخفيف، وقرأ بهما جميعاً القراء: حتى يبلغ الهَدْيُ محله، والهِدِيُّ محله»[5].

**٣ ـ ﴿حرَج، وحرِج﴾:**

قال ابن السكيت: «وبكل قرأت القراء **﴿يجعل صدره ضيقاً حرَجاً﴾**، وحرِجاً»[6].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ: لوحة ٣١ لمحب الدين أبي البقاء العكبري، مخطوط مصور رقم ١١٩٩ ـ تفسير ـ دار الكتب.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٢.

(٣) بفتح الحاء وكسرها، إصلاح المنطق لابن السكيت: ص ٣١: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة دار المعارف، ط ثانية.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٥) بسكون الدال مع ضم الياء ثم بكسر الدال مع الضم والتشديد للياء، إصلاح المنطق: ص ٢٧٥.

(٦) سورة الأنعام: آية ١٢٥، إصلاح المنطق: ص ١٠٠.

٤ ـ ﴿إن يمسسكم قرح﴾[١].

قال ابن خالويه: «يقرأ بفتح القاف وضمها، فالحجة لمن فتح أنه أراد الجراح بأعيانها، والحجة لمن ضم أنه أراد ألم الجراح، وقيل هما لغتان فصيحتان كالجَهد والجُهد»[٢].

٥ ـ ﴿الرعب﴾[٣].

قال ابن خالويه: «يقرأ بإسكان العين وضمها، فالحجة لمن أسكن أن الأصل الضم، فثقل عليه الجمع بين ضمتين متواليتين، فأسكن، والحجة لمن ضم أن الأصل عنده الإسكان فأتبع الضم الضم ليكون اللفظ في موضع واحد، كما قرأ عيسى بن عمر: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[٤] بضمتين، وكيف كان الأصل، فهما لغتان»[٥].

٦ ـ ﴿ولا يحزنك﴾[٦].

قال ابن خالويه: «يقرأ بفتح الياء، وضم الزاي، وبضم الياء، وكسر الزاي، فالحجة لمن فتح الياء أنه أخذه من حَزن يحزن حزناً، والحجة لمن ضم الياء أنه أخذه من أحزن وحزناً، ولم يسمع إحزاناً، وإن كان القياس يوجبه»[٧].

٧ ـ ﴿من يرتدّ منكم﴾[٨].

قال ابن خالويه: «يقرأ بالإدغام والفتح، وبالإظهار، والجزم، فالحجة لمن أدغم أنه لغة أهل الحجاز، لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى: ﴿إنما نعدّ لهم عدّاً﴾[٩] ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سنين﴾[١٠] ليفرقوا بذلك بين الاسم والفعل. والحجة لمن أظهر أنه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.
(٢) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٧، مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب، دار الكتب.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥١.
(٤) سورة الملك: الآية ١.
(٥) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٧.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.
(٧) الحجة لابن خالويه: ورقة ٢٨.
(٨) سورة المائدة: ٥٤.
(٩) سورة مريم: الآية ٨٤.
(١٠) سورة المؤمنين: الآية ١١٢.

أتى بالكلام على أصله، ورغب مع موافقة اللغة في الثواب، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات»[1].

٨ ـ ﴿وإن يروْا سبيل الرشد﴾[2].

قال ابن خالويه: «يقرأ بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما: وقيل هما لغتان كقولهم: السُّقْم والسَّقَم»[3].

٩ ـ ﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾[4].

قال ابن خالويه: «يقرأ بضم الضاد وفتحها، وهما لغتان»[5].

١٠ ـ غمض يغمَض لغة في أغمض، وقرأ البراء بن عازب رضي الله عنه والحسن: ﴿إلا أن تَغمضوا[6] فيه﴾[7].

١١ ـ وقال الصاغاني: «البخل لغة في البَخْل، والبُخْل، والبَخَل، وقرأ أبو رجاء: ﴿بالبَخَل[8]﴾[9].

١٢ ـ وطيبى لغة في طوبى: وقرأ مكوزة الأعرابي ﴿طيبى[10] لهم﴾[11].

١٣ ـ «الرعاء لغة في الرعاء وقرأ الخليل: ﴿حتى يصدر الرُّعاء﴾[12] بضم الراء مع التشديد»[13].

* * *

(١) الحجة لابن خالويه: ورقة ٣٧. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.
(٣) الحجة لابن خالويه: ورقة ٥٣. (٤) سورة الأنفال: آية ٦٦.
(٥) الحجة لابن خالويه: ورقة ٥٨. (٦) بفتح التاء، سورة البقرة: الآية ٢٦٧.
(٧) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ٥ للصاغاني، مخطوط رقم ٤١٨ ـ لغة ـ دار الكتب.
(٨) سورة النساء: آية ٣٧.
(٩) البخل: «بضم الباء وسكون الخاء» لغة في البخل «بفتح الباء وسكون الخاء» وكذلك البخل «بضم الباء وسكون الخاء» لغة في البخل «بفتح الباء والخاء» والقراءة «بفتح الباء مع سكون الخاء وكسر اللام»، انظر «ما تفرد به بعض أئمة اللغة»: ورقة ٧.
(١٠) سورة الرعد: الآية ٢٩. (١١) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ١١.
(١٢) سورة القصص: الآية ٢٣.
(١٣) ما تفرد به بعض أئمة اللغة: ورقة ١٣، ١٤.

## ٦ ـ رسم المصحف العثماني، والأحرف السبعة:

تؤكد لنا الروايات المتعدّدة أنه بجانب المصحف العثماني كان لأكابر الصحابة مصاحف أخرى كمصحف علي، ومصحف عائشة، ومصحف أبيّ، ومصحف ابن مسعود.

وليس هناك أدنى شك في أن هذه المصاحف المتعددة لم تكن على قراءة واحدة، ذلك لأن الصحابي قد يسمع قراءة بلهجة تميم مثلاً فيكتبها على حين يسمع غيره قراءة بلهجة قريش أو هذيل فيكتبها أيضاً، ومن هنا تعددت القراءات وكثرت.

ولما انتشر الإسلام في أصقاع الأرض، وسار ركبه في أجزاء المعمورة كان الصحابة يقرأون القرآن في هذه البلاد التي فتحت، على حسب ما سمعوا من النبي ﷺ:

فمن الطبعيّ إذاً أن ينشأ خلاف بين القراء، ومن الطبعيّ أيضاً أن تتسع هوة الخلاف بين الصحابة في القراءات، فينكر بعضهم قراءة بعض. يدل على ذلك فزع حذيفة بن اليمان إلى عثمان، ليقول له:

«يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، كما اختلف اليهود والنصارى، فبعث عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها عليك، فأرسلتها إليه، فأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوا الصحف في المصاحف»[1].

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ص ١٨، ١٩.

فلما تم النقل وكمل النسخ «بعث عثمان إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التي نسخوها، وأمر بما سواه من القرآن، في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

وهنا يرد إلى أذهاننا هذا السؤال: هل كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف بلغات العرب التي أنزل بها؟

بعض الروايات التي سجلتها كتب التاريخ، لا تثبت هذا، بل تنفيه، وتؤكد أن القرآن الكريم كتب بلهجة قريش، وتستند هذه الروايات إلى قول عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الذين وكل إليهم مع زيد بن ثابت كتابة المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا»[2].

فإذا كان مؤدى نص عثمان رضي الله عنه أن القرآن الكريم كتب جميعه بلهجة قريش، وغض النظر عن اللهجات الأخرى التي نزل بها، والتي يشير إليها حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ـ فإننا نقع في مشكلة تحتاج إلى حل، وتتمثل هذه المشكلة في نشأة القراءات مع هذا المصحف العثماني.

أريد أن أقول: إذا كان القرآن كتب بلهجة واحدة هي لهجة قريش، فكيف إذاً نفسر نشأة القراءات مع هذا المصحف؟

في رأيي أن المصحف لم يكتب بلهجة قريش وحدها، فالنفر الذين كتبوا المصحف نسخوه من الصحف التي أحضرها عثمان رضي الله عنه من حفصة ولم يترك للكتّاب الحرية في أن يسجلوا من حفظهم شيئاً ـ مع أنهم كانوا حفظة ـ مخافة أن تفتح أبواب القيل والقال، فيقال مثلاً: إن عثمان كتب في مصحفه ما لم يكن في صحف أبي بكر أو مصحفه، فلقَتْل هذه الشبهة في مهدها، والقضاء عليها من أوّل وَهْلة اعتمد على مصحف أبي بكر، ومصحف أبي بكر جمع قراءات النبي ﷺ في العَرْضَة الأخيرة.

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن: ص ١٨، ١٩.

(٢) الإتقان: ج ١ ص ٥٩.

من أجل ذلك يصحّ لي أن أقول: إن مصحف عثمان رضي الله عنه مشتمل على الأحرف السبعة.

أما أمر عثمان بالكتابة بلغة قريش فلم يكن المقصود منه كتابة المصحف جميعاً بهذه اللهجة، لأن نص حديث عثمان لا يساعد على هذا الفهم، فهو يقول: إذا اختلفتم فاكتبوه بلغة قريش، ومواضع الاختلاف كانت قليلة كاختلافهم في التابوت.

فقال زيد: «هو التابوه، وقال النفر القرشيون: هو التابوت فرفع الأمر إلى عثمان فقال: اكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم»[1].

وواضح أنهم إذا لم يختلفوا ينسخونه كما هو دون زيادة أو نقصان ـ هذا هو مفهوم كلمة عثمان رضي الله عنه في رأيي.

من هذا العرض نخرج بهذه الحقيقة، وهي أن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة.

وأقصد بالأحرف السبعة القراءات التي قرأها النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، والتي استقرت بها قراءات القرآن.

أما حرف أبيّ، وابن مسعود، وغيرهم من أصحاب المصاحف، فلم يشتمل عليها مصحف عثمان، ومن هنا كانت القراءات من هذه المصاحف شاذة كما سنبين بعد إن شاء الله.

وقد قال صاحب «الطراز»: «إن الحرف الواحد كلما كان أكثر استفاضة كان أحق بالقبول، ولأجل ذلك اتفقوا على حَرْف زيد»[2].

* * *

**تجريد مصاحف عثمان من النقط والشكل:**

ويبيّن ابن الجزري أن المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه

---

(١) الزينة: ج ١ ص ١٤٦.

(٢) الطراز: ج ٣ ص ٤٦٣.

إلى الأمصار «جردت جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته»[1] ومعنى ذلك أن قراء الأمصار يقرأون بما سمعوا، وبما رووا، متخذين مصحف عثمان مصدراً يرجعون إليه عند الاختلاف، ولا بد أن تكون قراءاتهم متفقة مع رسم المصحف، ونعني بهذا أن رسم المصحف العثماني شرط في صحة هذه القراءات.

وبهذا الشرط أسقطت القراءات التي تخالف الرسم العثماني.

ونحن إذا نظرنا إلى هذا العمل الضخم الذي قام به عثمان رضي الله عنه نجد أنه صان القرآن الكريم من تحريف كان من الممكن أن يستبد به، ومن تغيير كان من الممكن أن يتسرب إلى بنائه، ولكن تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2] جُنّد عثمان لهذا العمل ليظل القرآن الكريم في مأمن من عبث العابثين، وعجمة المستعربين.

وظل عثمان على موقفه من هذا الرسم إلى أن لحق بربه.

## مشكلة تحتاج إلى حل:

خلاصة هذه المشكلة أن ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» أشار إلى إن عثمان رضي الله عنه تخلّى عن تمسكه برسمه، وأطلق القراءة وهذا يختلف مع الحقيقة القائلة أن الرسم العثماني ظل ماثلاً إلى اليوم لا يمس، وأن القراءات التي لا يحتملها رسمه قراءات شاذة. ولما رجعت إلى كتاب «المصاحف» رأيت ابن أبي داود يعنون لهذه الفكرة بهذا العنوان: «إطلاق عثمان رضي الله عنه القراءة على غير مصحفه» وتحت هذا العنوان قال ما نصه: «لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان رضي الله عنه، صعد عثمان المنبر، فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شراً، أذعتم السيئة، وكتمتم الحسنة، وأغريتم بي سفهاء الناس. أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا؟ وما الذي يريدون؟ ثلاث مرات، لا يجيبه أحد، فقام علي رضي الله عنه، فقال: أنا. قال عثمان: أنت أقربهم رحماً، وأحقهم بذلك، فأتاهم،

---

(١) النشر: ص ٧.

(٢) سورة الحجر: آية ٩.

فرحبوا به وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك، فقال: ما الذي نقمتم؟ قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله عز وجل، وحمى الحمى، واستعمل أقرباءه، وأعطى مروان مائتي ألف، وتناول أصحاب النبي ﷺ، فرد عليهم عثمان رضي الله عنه. أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم، لأني خفت عليكم الاختلاف، فاقرؤوا على أي حرف شئتم»[1].

فهذا النص يدل ظاهرة على أن عثمان رضي الله عنه أطلق القراءة. ولإزالة التناقض بين هذه الرواية، وبين الروايات الأخرى التي تُثْبِتُ أن عثمان جمع الناس على مصحفه، وحذر من مخالفته، وحرّق ما يوجد من المصاحف الأخرى.

أقول لإزالة هذا التناقض أردت أن أتحقق من رواية ابن أبي داود فرأيت أن بعض كتب التاريخ تختلف في هذه الرواية مع رواية ابن أبي داود، فقد نقل المرحوم الشيخ الخضري عن المراجع التاريخية أن عثمان رضي الله عنه قال للثائرين ما نصه: «وقالوا: حميت حمى، وإني والله ما حميت حمى قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعيه أحداً. . إلى أن قال: وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي من ثاغية، ولا راعية، وإني قد وليت، وإني أكثر العرب بعيراً أو شاة فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجيّ، أكذلك هو؟ قالوا: اللهم نعم. وقالوا: كان القرآن كتباً فتركتها إلا واحداً، ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك هو، قالوا: نعم»[2].

ففي هذه الرواية بين عثمان رضي الله عنه أنه لم يحدث في المصحف شيئاً جديداً وإنما سار على سنة أبي بكر وعمر في الحيطة له، وفي صيانته من الاختلاف الذي قد يؤدي إلى النزاع بين المسلمين، فيكون مصيرهم مصير اليهود والنصارى حينما اختلفوا في كتبهم، وليس في هذه

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢ ص ٣٩، المرحوم الشيخ محمد الخضري.

(٢) المرجع السابق.

الرواية ما يدل على أنه أطلق القراءة، هذا دليل.

ودليل آخر، يتضح في أنه لو صحت رواية ابن أبي داود لما كان هناك تناف بين ما قررته من تمسك عثمان برسمه، وبين هذه الرواية.

وبيان ذلك أن رواية ابن أبي داود لا تنص على إطلاق القراءة بما يخالف الرسم، فأطلق لهم حرية القراءة بما رووا، ولكن على شريطة أن تخضع لرسم المصحف، هذا هو مفهوم كلمة عثمان في هذا المقام، وكأنه يريد أن يقول لهم: اقرءوا ما شئتم كما رويتم وسمعتم، فادعاؤكم أني ألغيت القراءات، ادعاء لم يصح، لأني وضعت للقراءات ميزاناً لا يسمح للقراءات الدخيلة أن تتسرب إلى كتاب الله، وهو الرسم الذي تحتمله القراءات المروية.

ودليل ثالث: يتجلى في أن عثمان رضي الله عنه كتب المصحف في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافته وأترك المقام لابن حجر ليحقق لنا متى كتب المصحف العثماني؟ لأنه على ضوء هذا التحقيق نستطيع أن نزيل إبهام رواية ابن أبي داود أو نحل أشكالها.

قال ابن حجر: «خطب عثمان فقال: يا أيها الناس، إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القراءة... (حديث جمع القرآن في المصحف العثماني) ثم قال ابن حجر: وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه بعد مقتل عمر، وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر، فإن كان قوله خمس عشرة سنة أي كاملة، فيكون ذلك بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافته.

ثم قال ابن حجر: وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستنداً»[1].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري: ج ٩ ص ١٤: للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة البهية، سنة ١٣٤٨ هـ.

فكتابة عثمان رضي الله عنه للمصحف كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة تقريباً وثورة الأمصار على عثمان رضي الله عنه كانت قبيل قتله، ومن المعلوم أنه قتل رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ[١]، فبيْن كتابة المصحف وقتله عشر سنوات تقريباً، وهي مدة ليست قصيرة في توطيد الرسم العثماني في نفوس القراء، وعلى ألسنتهم، مما يعز على هذه الألسنة أن تنحرف عن نهجه، أو تميل إلى غيره، أو تركن إلى سواه، فلما علم عثمان رضي الله عنه أن الأمور استقرت، وأن الرسم العثماني أصبح حقيقة واقعة خضع لسلطانها القراء جميعاً لم يبال بعد ذلك أن يقرءوا بأي حرف شاءوا ما دامت علة الخلاف قد زالت، وشهوة الجدال قد انتهت، ومن أجل هذا صح له أن يقول: «إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف» أما وقد زال هذا الاختلاف، وأصبح المصحف العثماني مصدراً للقراءات جميعاً التي يحتملها رسمه، فلا مبرر إذاً للخوف، ومن هنا قال: اقرءوا على أي حرف شئتم.

* * *

(١) تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢ ص ٤٢.

## ٧ ـ الأحرف السبعة والقراءات السبع:

ليست القراءات السبع التي دونها علماء القراءات، وأجمعوا عليها هي الأحرف السبعة التي أشار إليها الحديث، وإنما هي بعض هذه الأحرف.

وقد أجمعوا على هذه القراءات السبع، لأن أصحاب الأهواء كثروا، وأخذوا يقرأون بما لا تحل تلاوته، تاركين المصحف الإمام، مما يؤدي إلى اضطراب في قراءات القرآن. وخوفاً من أن يتسع الخرق على الراقع، وتمتد يد البدعة إلى كتاب الله لتحرف فيه، أو تزيد، أو تنقص تجرَّد قوم «للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا في كل مصر ـ وُجِّهَ إليها مصحف ـ أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصر على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم»[١].

وقراءات هؤلاء السبع هي المتفق عليها إجماعاً، ولكل منهم سند في روايته، وطريق في الرواية عنه، وكل ذلك محفوظ مثبت في كتب هذا العلم»[٢].

وهذه القراءات السبع التي نسبت إلى هؤلاء القراء غيض من فيض، وإنما جمعها ابن مجاهد لاختياره الخاص، فاشتهرت حتى ظن بعض العوام أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر: ورقة ٥ للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، مخطوط رقم ٧٣ قراءات، دار الكتب.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥١.

قال ابن الجزري: «لا يجوز أن يكون المراد ـ من الأحرف السبعة ـ هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظن بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا، ولا وجدوا»[1].

وقد اعتقد بعض الناس خطأ أن هذه القراءات السبع هي المعتبرة وما عداها شاذ، ولست أدري كيف وصلوا إلى هذا الحكم مع أن أبا عبيد القاسم بن سلام: «جعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة ٢٢٤ هـ»[2].

وقد لمح هذا الخطأ ابن الجزري فقال: «وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً، وربما كان كثير مما لم يكن في «الشاطبية والتيسير» وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما. وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وسمعوا قراءات السبعة، فظنوا أن هؤلاء السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك، كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد، أو زاده، أو بين مراده ليخلّص من لا يعلم مِن هذه الشبهة»[3].

## آراء العلماء في القراءات السبع:

### ١ ـ رأي الإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي:

قال: «فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، فذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً، واختياراً، فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطَّأ أو كفّر، وربما كانت أظهر وأشهر.. ثم قال: ولقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة

---

(١) النشر: ج ١ ص ٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٦.

حتى جهلوا ما لا يسعهم جهله، وأوهم كل من قلّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي، لا غير... وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة»[1].

### ٢ ـ رأي ابن تيمية:

لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما، كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي، فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين من أهل الإجماع... ثم قال: «ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشر، والأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب، ويقرءونه في الصلاة، وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء، لم ينكره أحد منهم»[2].

### ٣ ـ رأي الكواش:

قال: «كل ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ»[3].

### ٤ ـ رأي السبكي:

قال الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج ما نصه، قال الأصحاب: «تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع، ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ، وقد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب، وأبي جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب»[4].

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦.
(٢) النشر: ج ١ ص ٣٩.
(٣) الإتقان: ج ١ ص ٨١.
(٤) المصدر نفسه والصحفة.

### ٥ ـ رأي مكّي:

قال مكي بن أبي طالب: «من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة في الحديث، فقد غلط غلطاً عظيماً، قال: ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم. فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء»[١].

### ٦ ـ رأي أبي حيان الأندلسي:

قال: «ليس في كتاب ابن مجاهد، ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً»[٢].

### تواتر القراءات السبع:

هل القراءات السبع متواترة؟

مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقراء، أن التواتر شرط في صحة القراءة، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية[٣].

### رأي الزركشي:

ويرى الزركشي: «أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ، ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع، موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد»[٤].

---

(١) الإتقان: ج ١ ص ٨٠.
(٢) الإتقان: ج ١ ص ٨٠ و ٨١.
(٣) شرح ابن القاصح على الشاطبية: ص ٦، المطبعة الأزهرية، ط أولى.
(٤) الإتقان: ج ١ ص ٨٠.

**رأي ابن الحاجب:**

قال في «مختصر المنتهي»: «إن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قِبَل الأداء كالمد، والإمالة، وتخفيف الهمزة ونحوها»[1].

ولم يسلم ابن الحاجب من النقد في هذا الرأي، فقال ابن الجزري: «ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول، فقصّ أثره؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما أقدم عليه، وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات وأثرها، كما أخلى غيره كتبهم منهم، بل ليته سكت عن التمثيل»[2].

* * *

(١) مختصر المنتهى الأصولي: ص ٤٩، لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية.

(٢) القراءات واللهجات: ص ٧٠.

## ٨ ـ تراجم موجزة للقراء السبعة:

### ١ ـ ابن عامر:

هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي إمام أهل الشام وقاضيهم. يكنى أبا عمرو أو أبا موسى.

كان تابعيّاً جليلاً إماماً بالجامع الأموي في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، وجمع له بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق. ولد سنة إحدى وعشرين أو ثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف في ذلك، وتوفي يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة[١].

* * *

### ٢ ـ ابن كثير:

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز. يكنى: أبا معبد أو أبا عباد، أو أبا بكر، وهو شيخ مكة وإمامها في القراءة، ونسبته الداري، نسبة إلى تميم الدّاري الصحابي أو إلى العِطْر، قيل: كان عطّاراً، وكان فصيحاً بليغاً مفوّهاً.

نقل قراءته الأئمة كأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد والشافعيّ وغيرهم. ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

ولد بمكة سنة خمس وأربعين في أيام معاوية، وأقام مدّة بالعراق ثم عاد إليها، وتوفي سنة عشرين ومائة[٢].

---

(١) لطائف الإشارات ١/٩٤.  (٢) المصدر نفسه ٩٥.

**٣ ـ عاصم بن أبي النجود:**

هو عاصم بن أبي النُّجود، إمام أهل الكوفة وقارئها. يكنى أبا بكر. والنجود معناه كما قال الجعبري: «من نجّد الثياب: نضّدها، وهو أسدي مولاهم، الكوفيّ».

انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمٰن السلميّ، إذا تكلم تكاد تعجب لفصاحته، وحسن صوته.

مولده مجهول، وتوفي بالكوفة أو السمّاوة، قال شعلة: هو موضع بالبادية سنة سبع وعشرين أو سنة ثمان وعشرين ومائة[١].

**٤ ـ نافع:**

هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعيم إمام دار الهجرة، يكنى أبا رُويم أو أبا الحسن، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكاً، فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها.

ولد سنة سبعين، وتوفي سنة تسع وستين ومائة[٢].

**٥ ـ أبو عمرو بن العلاء:**

هو زبان بن العلاء بن عمّار أو العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث المازنيّ البصريّ، إمام البصرة ومقرئها.

كان أعلم الناس بالقرآن والعربيّة عَدْلاً زاهداً، يتصدّق بالجوائز، وينفق من أرض ورثها. وكان يُلقّب بسيّد القُراء.

ولد بمكة سنة ثمان أو تسع وستين أيام عبد الملك بن مروان.

ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة أو سنة سبع وخمسين ومائة أو غيرها[٣].

---

(١) لطائف الإشارات ١/٩٦.

(٢) المصدر نفسه ٩٤.

(٣) لطائف الإشارات ١/٩٥.

ولأبي عمرو ترجمة وافية ودراسة واسعة في نحوه وقراءاته في كتابي «الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي»[1].

* * *

٦ ـ حمزة:

هو أبو عمارة: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيّات الكوفيّ التيمي مولاهم. وهو من تابعي التابعين.

كان عالماً بالفرائض وَرِعاً. وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، انتهت إليه القراءة بعد عاصم.

ولد سنة ثمانين أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي بحلوان سنة أربع أو ثمان وخمسين ومائة أيام المنصور أو المهدي[2].

٧ ـ الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفيّ إمام أهل الكوفة.

ونعت بالكسائي لتسربله وقت الإحرام بكساء وهو مولى بني أسد، فارسيّ الأصل من تابعي التابعين، انتهت إليه الرياسة في القراءة واللغة والنحو.

قال نصير: «كان إذا قرأ أو تكلم كأنَّ ملَكاً ينطق على فيه، وكان يجلس على منبر الكوفة، ويقرأ، فتضبط المصاحف بقراءته، وتؤخذ الألفاظ منه.

توفي سنة تسع وثمانين ومائة بإحدى قرى (الرّيّ) في توجهه مع الرشيد إلى خراسان»[3].

---

(١) انظر الحلقة المفقودة من ص ١٨٧ ـ ٢٧٥.

(٢) لطائف الإشارات ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) لطائف الإشارات ٩٦ ـ ٩٧.

**٩ ـ القراءات الشاذة:**

يبين ابن الجزري مقياس القراءة الصحيحة فيقول:

«كل قراءة وافقت العربيّة، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها»، ولا يحلّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم»[١]:

هذا المقياس الذي نص عليه ابن الجزري يوسع دائرة القراءات الصحيحة، ولا يحصرها في دائرة القراءات السبع، وفي الوقت نفسه لا يسمح للقراءات الشاذة أن تدخل في هذه الدائرة، لأن مقياس القراءة الصحيحة يبعدها عن هذه الدائرة.

ونحن إذا نظرنا إلى القراءات السبع لوجدناها منتخبة من قراءات صحيحة موافقة لخط المصحف، وموافقة أيضاً للعربية. يدل على ذلك ما قاله نافع: «قرأت على سبعين من التابعين، فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شك فيه واحد تركته، حتى اتبعت هذه القراءة»[٢].

وقال مكي: «قرأ الكسائي على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاثمائة

---

(١) النشر: ج ١ ص ٩.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات: ص ١٧: لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، طبع نهضة مصر بالفجالة.

حرف لأنه قرأ على غيره، فاختار من قراءة حمزة، ومن غيره قراءة، وترك منها كثيراً»[1].

وقال أيضاً: «وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير، وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف، لأنه قرأ على غيره، واختار من قراءته. ومن قراءة غيره قراءة»[2].

لهذا، فإننا نقرر أن القراءة الشاذة هي التي فقدت شرطاً من الشروط التي نص عليها ابن الجزري في النص السابق، وليست القراءات الشاذة، كما يدعي بعض العلماء ـ هي التي لا تخضع للقراءات السبع، أو التي لا تنطبق عليها هذه القراءات السبعية التي اختارها ابن مجاهد باجتهاده الخاص.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

**١٠ ـ أشهر القراء الذين نسبت إليهم القراءات الشاذة:**

**١ ـ ابن شنبوذ:** محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ:

من قراءته الشاذة أنه قرأ: **﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله﴾**[١] وقرأ: **﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً﴾**[٢] وقرأ: **﴿فلما خرّ تبينت الناس أن الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين﴾**[٣]. . إلخ.

ولا شك أن هذه القراءات كانت مخالفة لخط المصحف، ولذلك أطلق عليها شاذة ويقال: أنه اعترف بذلك كله، ثم استتيب، وأخذ خطه بالتوبة، فكتب يقول: «محمد بن أحمد بن أيوب، قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه، والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته ثم بان لي أنّ ذلك خطأ. . وأنا منه تائب، وعنه مقلع، وأن الله جل اسمه منه بريء»[٤].

**٢ ـ ابن مقسم:** محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن. . . ابن مقسم أبو بكر العطار المقرىء ولد سنة ٢٦٥ هـ، ومات لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٣٥٤ هـ.

حدث أبو بكر الخطيب قال: «ومما طعن به علي أبي بكر ابن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن، فخالف الإجماع فيها، وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة العربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأنكروه

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٩.
(٢) سورة الكهف: الآية ٧٩.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٤.
(٤) انظر الفهرست: ص ٥٣، ٥٤: لابن النديم، مطبعة الاستقامة.

وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره، واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة، وكتب محضراً بتوبته، وأثبت جماعة ممن حضر المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه.

وقد قال عنه أبو طاهر بن أبي هاشم المقرىء: «وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية في حرف القرآن، يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه»[1].

ومن قراءة ابن مقسم: أنه قرأ في قوله تعالى: ﴿**فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً**﴾. قرأ: «نجباً»[2].

قال الرافعي: «فأزالها بذلك عن أحسن وجوه البيان العربي»[3].

٣ ـ **أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي** في أواخر المائة الثانية قد جمع قراءة نسبها إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومنها: ﴿**إنما يخشى اللّهُ من عباده العلماءَ**﴾[4] وقد كذبوه في إسناده، وجعلوه مثلاً بينهم في القراءات الموضوعة المردودة[5].

* * *

(١) انظر: معجم الأدباء: ج ١٨ ص ١٥٠، ١٥١، بتصرف.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٠.
(٣) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥٧.
(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٥) إعجاز القرآن للرافعي: ص ٥٧.

## تعدّد المصاحف والقراءات الشاذة:

تعدّد المصاحف يعتبر سبباً جوهريّاً في تعدّد القراءات. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا تعدّدت المصاحف إلى جانب المصحف الأم الذي جمعه زيد بن ثابت في عهد أبي بكر رضي الله عنه؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال أحب أن ألقي ضوءاً كاشفاً على قضية جمع القرآن الكريم على يد زيد بن ثابت في عهد أبي بكر رضي الله عنه في إيجاز لأن هذه القضية تناولناها بالبحث المفصّل، والدراسة المستوعبة في مقدّمة معجم القراءات القرآنية[1].

جمْعُ زيد للمصحف بأمر أبي بكر رضي الله عنه كان أمراً ضروريّاً، لأن أحداث الدولة والجهاد في سبيل نشر العقيدة، وكثرة الفتن، وبخاصة فتنة أهل الردّة، كل ذلك دعاهم إلى أن يتجهوا إلى كتاب ربّهم، لصيانته من كل تحريف، وإحاطته بأسوار منيعة من التحرّي الكامل، والدقة المتناهية في جمعه حتى لا يدخل فيه ما ليس منه، وبذلك يكون القرآن في قمة التوثيق الكتابي ليكون مرجعاً حينما يستبدّ النسيان بالذاكرة، ومصدراً يفزعون إليه إذا حدث خلاف في قراءة أو جدل في آية.

يقول زيد بن ثابت كاتب الوحي على عهد الرسول ﷺ:

«أرسل إليّ أبو بكر عقب مَقْتَل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في

---

(١) معجم القراءات القرآنية تأليف الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم وطبع على نفقة الجامعة مرتين في ثمانية مجلّدات.

المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد، قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحْي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن، اجْمَعْهُ، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[1]، واللّخاف[2]، وصدور الرجال»[3].

وكان منهج زيد في جمع القرآن الكريم يقوم على الخطط التالية:

١ ـ عدم قبول قراءة من القرآن الكريم حتى يشهد شهيدان[4].

وقد أخرج ابن أبي داود عن طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[5].

٢ ـ النقاء المحفوظ بالمكتوب لتوثيق النص القرآني، فالمكتوب من دون أن يتواتر سماعه لا قيمة له، ولا قيمة لمسموع ما لم يسجل كتابةً، لأن القرآن الكريم كتب جميعه لم يسقط منه شيء من عهد الرسول ﷺ.

ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن تمّ التوثيق بشقيّه المحفوظ والمكتوب.

---

(١) العُسُب: جمع عسيب، وهو جريد النخل.

(٢) اللّخاف بكسر اللام: جمع لخفة بفتح اللام، وسكون الخاء، وهي الحجارة الدقاق.

(٣) انظر الإتقان ١/ ٥٧ .

(٤) الإتقان ١/ ٥٨.

(٥) الإتقان ١/ ٥٨.

ولعلّ هذا ما عناه ابن حجر حينما قال: المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب[1].

٣ ـ عدم الاكتفاء بالمكتوب دون المحفوظ، فقد يكون هناك خطأ في المكتوب لا يؤيده المحفوظ، وهذا ما قرّره أبو شامة بقوله: «ألاّ يكتب إلاّ من عَيْن ما كتب بين يديْ النبيّ ﷺ لا من مجرّد الحفظ»[2].

٤ ـ لا يكتفي بالمحفوظ دون المكتوب، فإن المحفوظ وحده، وإن تواتر غير كاف ما لم يكن مكتوباً.

ومن الأمثلة على ذلك رفض آية الرّجم التي جاء بها عمر، فلم تؤخذ لأن عمر كان وحده، فسقط الركن الثاني من الشهادة، حتى ولو كانت الآية مكتوبة عنده[3].

وكذلك ردّت رواية حفصة: «والصلاة الوسطىٰ، وهي صلاة العصر، فقد سألها أبوها عمر: ألك بهذا بيّنة؟ قالت: لا، قال: فوالله لا نُدخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة»[4].

والقارىء لخطوط هذا المنهج لا يعتريه شك بأن هذا المنهج قمة في التخطيط الدقيق، والتحرّي الصادق، وهو منهج لا تصل إلى دقته المناهج العلمية المعاصرة، ومن ثمّ كان الدكتور محمد حسين هيكل على حق حيثما قال: نستطيع أن نقول في غير تردّد: «إنه: اتبع طريقة التحقيق العلميّ المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتبّع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقّة»[5].

وبعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بقي هذا المصحف عند عمر.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة. (٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين: ١٥٨ نقلاً عن كتاب «فصل الخطاب للطبرسيّ مخطوط رقم ٦٠٥ تفسير مكتبة تيمور.

(٥) الصديق أبو بكر: ٣٢٢، طبعة أولى.

وقد تمّ في عهد عمر إرسال قُراء إلى بلاد الشام، ليعلموا الناس القرآن بعد أن كثر المسلمون في هذه الديار ونَموْا.

وكان هذا الإرسال جانباً آخر من جوانب التوثيق لقراءة القرآن حتى لا تنحرف الألسنة عن صواب القراءة:

وقد حدّد ابن سعد في طبقاته هؤلاء القراء، وهم: معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء[1].

ومن هذه المرحلة التي بدأت بأبي بكر رضي الله عنه، وامتدّت إلى نهاية عهد عمر رضي الله عنه كانت هناك ظاهرة تستوجب التوقّف عندها، لأن لها أثراً كبيراً في قراءات القرآن، وهي ظاهرة تعدّد المصاحف التي جعلناها عنواناً لهذه النقطة من هذه الدراسة، وقد بدأنا هذه النقطة بسؤال أرجأنا الإجابة عنه، وهو لماذا تعدّدت المصاحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى جانب المصحف الذي جمع بأمره في عهده؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

لم يحاول أبو بكر رضي الله عنه أن يمنع المصاحف الفردية التي انتشرت في عهده بجانب المصحف الإمام الذي جمع بعد طول عناء، وجهد منقطع النظير، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه لم تحدث وقائع تدعو إلى توحيد المصاحف من ناحية ولأن القرآن نزل على سبعة أحرف للتيسير والترغيب في القراءة من ناحية أخرى، ولهذا أباح أبو بكر رضي الله عنه تعدّد المصاحف، وأبقاها كما هي عند أصحابها لم تمسّ، ولم يحاول أن يحجر عليها، فلا يقرأ منها.

وقد تناولنا بإفاضة موضوع تعدّد المصاحف في مقدمة معجم القراءات ونوجز هنا القول عن أشهر هذه المصاحف:

* * *

(١) انظر الطبقات الكبرى ٢/ ٣٥٧، دار صادر، ودار بيروت للطباعة.

١ ـ مصحف عليّ كرّم الله وجهه:

«فعن ابن سيرين قال: «قال عليٌّ: لمّا مات رسول الله ﷺ: آليت ألاّ آخذ عليّ ردائي إلاّ لصلاة جُمْعة حتى أجمع القرآن فجمعته»[١]. ومن دون شك فإن هذا الخبر يدل دلالة واضحة على أن فكرة جمع المصحف كانت مستقرة في ذهن علي قبل أن يجمع أبو بكر مصحفه.

ولمصحف عليّ قيمة تاريخيّة إلى جانب أن عليّاً كان من القُراء، وقراءته يمثّلها مصحفه.

وقيمته التاريخية ترجع إلى أن قراءات أربعة قرّاء من القراء السبعة تنتهي إلى قراءة عليّ كرّم الله وجهه.

أمّا هؤلاء القراء الأربعة فهم:

١ ـ **أبو عمرو بن العلاء**: قرأ على نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر وكلاهما قرأ على أبي الأسود، وأبو الأسود قرأ على علي كرم الله وجهه[٢].

٢ ـ **عاصم بن أبي النجود**: قرأ على أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلميّ الضرير الذي قرأ على علي كرم الله وجهه»[٣].

٣ ـ **حمزة الزيات**: قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق الذي قرأ على أبيه محمد الباقر، وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين، وقرأ زين العابدين على أبيه سيّد شباب أهل الجنة، وقرأ الحسين على أبيه عليّ بن أبي طالب[٤].

٤ ـ وقرأ **الكسائي** على حمزة الزيات، وعليه اعتمد، وتقدم سند حمزة[٥].

هذا، ومما يجدر ذكره أن مصحف علي كرم الله وجهه لا يختلف

---

(١) الإتقان ١/٥٧
(٢) النشر ١/١٣٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٥.
(٤) المصدر نفسه: ص ١٦٥.
(٥) المصدر نفسه: ص ١٧٢.

عن مصحف عثمان رضي الله عنه، وهو المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والمسلمون اللهم إلاّ في القراءة التي يحتملها رسم المصحف العثماني.

إن قراءة علي في مصحفه لا تخرج عن الرسم العثماني، وما روي عن عليّ كرم الله وجهه من قراءات متفقة مع الرسم واعتبرت شاذّة، فهذه القراءات لم تتواتر ولم يقوَ سندها. ومن هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ علي: ﴿فمن خاف من مُوصٍ حَيفًا﴾[١] وقراءة العامّة جنفاً بالجيم والنون[٢].

٢ ـ وقرأ: ﴿لنُثوِينّهم في الدنيا حسنة﴾[٣]، بالثاء وقراءة العامّة: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ»[٤].

٣ ـ وقرأ: ﴿لَنَحرُقَنَّهُ﴾[٥] وقراءة العامّة: «لَنُحَرِّقَنَّهُ»[٦].

٤ ـ وقرأ: ﴿آمَرْنا مُتْرِفيها﴾[٧] على وزن «عامَرْنا» وقراءة العامّة «أمرنا»[٨].

فهذه جملة من القراءات المنسوبة إلى علي كرم الله وجهه سقتها كنماذج للقراءات التي وافقت رسم المصحف، ولكنها اعتبرت شاذة لضعف سندها وروايتها.

على أن علياً كرّم الله وجهه نسبت إليه قراءات شاذة أخرى وشذوذها من قبل أنها مخالفة لرسم المصحف، ومن نماذجها ما يلي:

١ ـ قرأ عليّ: ﴿حطب جهنم﴾[٩]، وقراءة العامة: «حصب جهنم»[١٠].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٢.
(٢) البحر الميحط ٢/٢٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٤١.
(٤) المحتسب ٢/٩.
(٥) سورة طه: الآية ٩٧ .
(٦) المحتسب ٢/٥٨.
(٧) سورة الإسراء: آية ١٦
(٨) المحتسب ٢/١٤.
(٩) سورة الأنبياء: الآية ٩٨
(١٠) المحتسب ٢/٦٧.

٢ ـ قرأ: ﴿يا مالُ﴾[١]، وقراءة العامّة: «يا مالِكُ»[٢].

٣ ـ قرأ: ﴿بوالديه حسناً﴾ وقراءة العامة: «إحساناً»[٣].

٤ ـ ﴿فلمّا سَلّما﴾ وقراءة العامّة: «فلمّا أسلما»[٤].

في ضوء هذه القراءات المنسوبة إلى عليّ كرّم الله وجهه نقرّر ما يلي:

١ ـ ليس مصحف علي الذي احتفظ به إلى عهد عثمان قبل أن يقوم الإمام عثمان رضي الله عنه بتوحيد المصحف الإمام وحرق جميع ما سواه ـ مخالفاً للمصحف الإمام إلا في القراءات الشاذة، وهي قراءات تفسيرية أو روايتها آحادية.

٢ ـ بعد توحيد المسلمين على مصحف واحد كانت هناك قراءات آحادية منسوبة إلى عليّ كرم الله وجهه، وتناقلها الرّواة تناقُلاً لم يصل إلى حدّ التواتر هذه القراءات التي سجّلت من كتب التفسير واللغة والقراءات.

٣ ـ بعد مرحلة توثيق النص القرآني في عهد عثمان ما كان لنا أن نعتد بقراءة في مجال التوثيق غير القراءات العامّة المشهورة.

٤ ـ ما نسب إلى الإمام عليّ من قرآن مخالف لما في المصحف الذي بين أيدينا متجاوزاً مخالفة الرسم لا يعتدّ به في مجال القراءات الصحيحة أو الشاذّة وإنما هو تفسير من كلام علي لا من كلام الله تعالى.

٥ ـ تثبت الأخبار أن عليّاً ـ كرم الله وجهه ـ كان مؤيداً لحركة عثمان في إحراق المصاحف، وتوحيد المسلمين على مصحف واحد، فقد رَوَوْا عنه قوله: «يا معشر الناس» اتّقوا الله عزّ وجلّ، وإيّاكم والغلوّ في عثمان، وقولكم حرّاق المصاحف، فوالله ما حرّقها إلا من كلامنا أصحاب محمد ﷺ»[٥].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٧.
(٢) المحتسب ٢/٢٥٧.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٤) المحتسب ٢/٢٦٥.
(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٣.
(٦) المحتسب ٢/٢٢٢.
(٧) مقدمتان في علوم القرآن: ٤٦.

وبهذا القول سدّ الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ باب الفتنة حتى لا تمتدّ إلى المصحف الإمام يد العبث على مرّ الزمان.

هذا وجملة القراءات الشاذّة التي نسبها ابن جني من المحتسب للإمام عليّ كرّم الله وجهه في ضوء إحصائي لهذه القراءات بلغت ستين قراءة.

وشذوذها كما قلت إمّا من جهة مخالفتها لرسم المصحف الإمام وإما من جهة أنها ضعيفة السند والرواية، فلم تقو قوّة القراءات السبع التي تواترت رواياتها. ولم تخرج عن رسم المصحف الإمام قي قراءتها.

وأما ما نسب إلى الإمام عليّ من قراءات مصدرها أهل الشيعة مخالفة للمرسوم، فضلاً عن ضعف سندها، فهي تفسيرات وتأويلات لا تعتبر قراءات شاذة أو غير شاذة، وهي بعيدة عن النصّ القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هذا وفريق من أهل الإماميّة يعتبرون تفسيرات الإمام علي أو تأويلاته للقرآن من قِبَل القرآن تفسيراً ومجازاً، لا واقعاً ولا حقيقة.

وما نسب إلى الإماميّة من اتّهام كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان بأنهم حرّفوا القرآن، أو أسقطوا منه، أو زادوا عليه فهو مَحْض افتراء بعيد عن الحق، دفع إليه هوى النفس، ووسوسة الشيطان.

ومن جملة اتّهاماتهم قولهم: إن كبار الصحابة أسقطوا من سورة ﴿ألم نشرح...﴾: «وجَعَلْنا عليّاً صِهْرَكَ» وهو يدلّ من وجهة نظرهم على تخصيص علي بكونه صهراً دون عثمان.

وكذلك أسقطوا سورة الولاية «ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها أهل البيت»[1].

ولا شك أن هذا الفريق الذي يدّعي هذا الادعاء استبدّ به الهوى وأعماه

---

(١) انظر مختصر التحفة ٣٠، ٣٢ وقد اقتبس النّص من فقه الشيعة الإمامية ١/ ٥٠ للدكتور على السالوس.

التعصب، وما أتى به مخالف لإجماع الأمة فهو قول ساقط وما يحتفظون به من قرآن أو قراءات غير موجودة في المصحف العثماني قولٌ غير مقبول أيضاً.

والإمام علي كرم الله وجهه بريءٌ مما نُسب إليه، فقد كان يعرف للقرآن قدره، ويكفي أن ابن خالويه وهو معروف تَاريخيّاً بأنه شيعيّ ذكر عن علي حينما عرض لقراءة: «وطلع منضود» مكان: ﴿وطلح منضود﴾ وهي قراءة العامّة، قال: قرأها علي بن أبي طالب على المنبر: «وطلع منضود» فقيل له: «أفلا نغيّره في المصحف؟ قال: ما ينبغي للقرآن أن يهاج، أي لا يغير»[1].

ودليل آخر ذكره صاحب «المباني» حينما قال في معرض الرّد على القراءة المنسوبة إلى علي رضي الله عنه: «والعصر، ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر».

قال صاحب المباني: هذه الروَاية باطلة بما روي عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش قال: قال لي عاصم بن أبي النجود: ما أقرأني أحدٌ من الناس حرفاً إلاّ أبو عبد الرحمٰن السلميّ، وأبو عبد الرحمٰن قرأ على عليّ كرم الله وجهه... إلى أن يقول: إنما روى أبو عبد الرحمن السلميّ عن علي رَضي الله عنه: ﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر﴾.

ثم قال صاحب المباني: إن من روى عنه: «والعصر ونوائب الدهر» فقد كذب أو نسي»[2].

### ٢ ـ مصحف أبيّ بن كعب:

أبيّ بن كعب عرض القرآن على النبيّ ﷺ، وقد شهد له بالقراءة بل شهد له بأنه أفضل القرّاء، فعن أبي قلابة: «أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٢٩.

(٢) مختصر البديع: ١٥١ نقلاً عن تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين: ١٦٥.

(٣) مقدمتان في علوم القرآن: ١٠٣، لخص الحديث عن مصحف عليّ من مقدمة معجم القراءات لانتفاع عامة المثقفين بهذه الدراسة.

أقرؤهم أبيّ بن كعب»[1].

وقد بلغت منزلة أبيّ في مجال قراءة القرآن أعظم درجة حينما قرأ عليه نبيّ الأمة رسول الله ﷺ القرآن، فعن قتادة عن أنس رضي الله عنه: «أن النبيّ ﷺ قال لأبيّ: إني أمرت أن أقرأ عليك! وفي لفظ: إني أقريك القرآن! قال: آلله سمّاني لك؟ قال: نعم، فبكى أبيّ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب» رضي الله عنهم»[2].

وكان أبيّ في عهد عمر مرجعاً يحتكمون إليه عند الاشتباه في قراءة آية، وهذا يدلّ على تمكّنه من القرآن وقراءاته، ففي البحر المحيط، قال أبو حيّان:

«وعن عمر أنه كان يروي: ﴿الذين اتّبعوهم بإحسان﴾[3] بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد بن ثابت: إنها بالواو، فقال عمر: ائتوني بأبيّ، فقال: تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة: «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم»[4] وأواسط الحشر: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾[5]، وآخر الأنفال: ﴿والذين آمنوا من بعد...﴾[6].

وكان لأبي مصحف كما كان لعليّ، ولا غَرْو في ذلك فأبيّ من حفظة القرآن الكريم كما قلنا، وهو من كُتّاب الوحي للرسول ﷺ.

واشتهر أُبيّ بأنه جمع القرآن في عهد النبي ﷺ[7]. وكان يكتبه في صحف سميت فيما بعد مصحفاً بقراءته التي سمعها من النبي ﷺ، هذا وقراءة أبي من خلال مصحفه الذي جمعه قبل أن يحرق عثمان المصاحف

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٢، ٣٣.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠.
(٤) سورة الجمعة: الآية ٣.
(٥) سورة الحشر: الآية ١٠.
(٦) سورة الأنفال: آية ٧٥، وانظر البحر ٥/ ٩٢.
(٧) الإتقان ١/ ٧٢.

ذات قيمة كبيرة، لأن ستة من أسانيد القراء السبعة متّصل إسنادهم بأبي بن كعب. وهؤلاء الستة هم: نافع ـ وابن كثير ـ وأبو عمرو ـ وعاصم بن أبي النجود ـ وحمزة الزيات ـ والكسائي[1].

والقراءات التي نسبت لأبيّ لا تخرج عن أمرين اثنين، وهما:

١ ـ ما تواتر من القراءات، واحتمله الرسم العثماني، فهذه القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد فيما بعد، وقد قلت بأن ستاً من هذه القراءات متواترة السند إلى أبي رضي الله عنه.

٢ ـ ما انفرد به أبي من القراءات بدون تواتر فإنه يعتبر قراءة شاذّة ومعظم هذه القراءات مرجعه إلى القراءات التفسيرية.

**أ ـ قراءات تدور حول الترادف:**

ترادف الكلمات في قراءته مع كلمات القراءات المتفقة مع رسم المصحف العثماني وإليك نماذج منها:

١ ـ قرأ أبيّ: «وغير الضالين»، وقراءة العامة: «ولا الضالين»[2].

٢ ـ قرأ أبيّ: «فلما أضاء لهم مرّوا فيه» وقراءة العامة: «مشوا فيه»[3].

٣ ـ قرأ أبيّ: «فتذروها كالمسجونة» وقراءة العامة: «كالمعلّقة»[4].

٤ ـ قرأ أبيّ: «ربنا وابعث فيهم في آخرهم رسولاً»[5] بزيادة «في آخرهم».

٥ ـ قرأ أبيّ: «إن الساعة آتية أكاد أخفيها[6] ـ من نفسي» بزيادة «من نَفْسِي».

---

(١) انظر مقدمة معجم القراءات ٢١ ـ ٢٢.
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧. وانظر البحر ١/ ٢٩ .
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥، وانظر البحر ١/ ٩٠.
(٤) سورة النساء: الآية ١٢٩، وانظر البحر ٣/ ٣٦٥.
(٥) سورة البقرة ١٢٩، وانظر البحر ١/ ٣٩٣.
(٦) سورة طه: الآية ١٥، وانظر البحر ٦/ ٢٣٣.

ب ـ قراءات أخرى نسبت إلى أبيّ وهي متفقة مع الرسم، ولكنها ضعيفة في باب الرواية لأنها لم تبلغ حدّ التواتر ومن نماذج هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ أبيّ: «وقرآناً فرّقناه»[١] بالتشديد، وقراءة العامة: «فرقناه» بالتخفيف.

٢ ـ قرأ أبيّ: «فقبضْتُ قبصة»[٢] بالصاد، وقراءة العامة: «فقبضت قبضة»[٣].

٣ ـ قرأ أبيّ: «ولا تكلّمون أنه»[٤] بفتح الألف، وقراءة العامة: إنه بكسرها[٥].

٤ ـ قرأ أبيّ: «صادِ»[٦] بكسر الدال، وقراءة العامة «صْ» بسكونها.

## شبهات حول مصحف أبيّ:

هناك قراءات منسوبة إلى أبي رضي الله عنه تحتاج إلى نقاش، لأنها لا تتفق مع هذا العمل الضخم بالنسبة لتوثيق النصّ القرآني في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهي قراءات تشبه الروايات الإخبارية التي تحتاج إلى سند قائم على منهج إخباري صحيح لتقبّل هذه الروايات.

من هذه الروايات:

قراءة أبيّ: «والسابقون الإيمان بالنبيّ فهم عليّ وذريته الذين، اصطفاهم الله من أصحابه، وجعلهم الموالي على غيرهم أولئك هم الفائزون الذي يرثون الفردوس هم فيها خالدون»[٧].

إن نسيج هذه الرواية يعلن إنها موضوعة، لاضطراب أسلوبها،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٦، وانظر المحتسب ٢/٣.
(٢) سورة طه: الآية ٩٦. (٣) وانظر المحتسب ٢/٥٥.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٨. (٥) المحتسب ٢/٩٨.
(٦) سورة ص: الآية ١، وانظر المحتسب ٢/٢٣٠.
(٧) انظر المصاحف لابن أبي داود/ ٩٧.

وتكلف كلماتها، وضعف بنيانها، هذه ناحية، وناحية أخرى، إن التعصب لعليّ كرم الله وجهه من قبل بعض الفرق الشيعية هو الذي دعا إلى اختلاق هذه القراءة، ونسبتها إلى علي، وعليّ كرم الله وجهه منها براء، لأنها لو كانت قرآنية لاشتمل عليها مصحفه، وانتشر ذكرها بين الصحابة، وحيث إنها لم تكن كذلك وليست في مصحفه، ولم ينتشر ذكرها بين الصحابة فهي قراءة كاذبة، ونسبتها إلى مصحف أبيّ أكثر كذباً»[1].

**٣ ـ مصحف ابن مسعود:**

ابن مسعود علم من أعلام القرآن، تربّى في بيت النبوّة «وكان يتولى فراش النبي ﷺ ووساده، وسواكه، ونعله، وطهوره»[2].

ورجل هذا شأنه مع النبيّ ﷺ لا بد أن يكون قريب الصّلة منه يعرف كثيراً من أسرار النبوّة، وحقائق الرسالة، ولهذا قال الرواة: «وكان النبيّ عليه السلام يطلع ابن مسعود على أسراره ونجواه»[3].

وفي مجال قراءاته قال عنه ﷺ: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه قراءة ابن أم عبد»[4].

ويتحدّث ابن مسعود عن نفسه في مجال القراءة فيقول: «حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة»[5].

وقيمة مصحف ابن مسعود ترجع إلى أن ثلاثة من القراء السبعة ينتهي سندهم إلى ابن مسعود، وهؤلاء هم حمزة، وعاصم، والكسائي[6].

ولمكانة ابن مسعود في قراءة القرآن الكريم كان مرجعاً قرآنياً كبيراً في نظر الصحابة والتابعين، فقد قرأ عليه: «الأسود، وتميم بن حذلم، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش، وعبيد بن مقيس، وعبيد بن نضلة، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلميّ، وأبو عمرو الشيباني،

---

(١) انظر مقدمة معجم القراءات ٢١ ـ ٢٤.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٤.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) انظر مقدمة معجم القراءات/ ٢٦.

وزيد بن وهب، ومسروق»[1].

ولا شك أن هذا العدد من القراء يفسّر لنا منزلة ابن مسعود في ميدان القراءة، ومضمار التوثيق.

وإمكانيّة اتصاله بالنبيّ ﷺ وكثرة ملازمته له يدل دلالة واضحة على سموّ هذه المنزلة.

ولا شك أن ابن مسعود كان يشعر بهذه المنزلة، ويحسّ بها في قرارة نفسه فقد قال فيما روي عنه: «والله الذي لا إله غيره لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلّغنيه الإبل لرحلت إليه»[2].

ومع منزلة ابن مسعود في مجال القراءة والعلم بالقرآن فقد نسبوا إليه أن مصحفه لا يضمّ «أم الكتاب والمعوّذتين».

وقد ظن بعض الجاحدين أن ابن مسعود كان يرى أن هذه السّور ليست من القرآن. وقد سفه هذا الرأي الإمام ابن قتيبة في كتابه: «تأويل مشكل القرآن».

فقال: عبد الله [أي ابن مسعود] ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعوذة والرّقية وغيرهما، وكان يرى رسولَ الله ﷺ يعوّذ بهما الحسن والحسين وغيرهما كما كان يعوّذ بـ «أعوذ بكلمات الله التامّة وغير ذلك، فظنّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة جميعاً...

وأما فاتحة الكتاب فإني أشك فيما روي عن عبد الله من تركه إثباتها في مصحفه فإن كان هذا محفوظاً، فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك، وهو من أشدّ الصحابة عناية بالقرآن وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم... وهو مع هذا متقدم في الإسلام بدريّ لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤمّ بها، وهي السبع المثاني، وأم

---

(١) غاية النهاية ١/٤٥٨.

(٢) غاية النهاية ١/٤٥٨، ٤٥٩.

الكتاب. . . ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان ورأى ذلك لا يجوز على سورة «الحمد» لقصرها، ولأنها تثنّى في كل صلاة، وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلّمها وحفظها كما يجوز ترك تعلّم غيرها وحفظه، إذْ كانت لا صلاة إلاّ بها فلما أمن عليها العِلّة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن»[1].

من أجل ذلك يمكن أن نقول: إن مصحف ابن مسعود لا يختلف في جوهره، وفي لفظه، وفي ترتيبه عن مصحف أبي بكر كما لا يختلف عن المصحف الإمام الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه.

ومصحف ابن مسعود كمصحف عليّ، ومصحف أبيّ ضم بعض القراءات التي اختلفت عن رسم المصحف الذي أقرّته الجماعة في عهد عثمان رضي الله عنه وهذه القراءات كما قلنا تحمل طابع التفسير، وليست قراءات من صُلْب القرآن وهذه نماذج منها:

١ ـ قرأ ابن مسعود: «فالصّوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن».

وقراءة العامّة: «فالصالحات قانتات حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله»[2] بدون: فأصلحوا إليهن».

قال أبو حيّان: وينبغي حملها على التفسير، لأنها مخالفة لسواد الإمام وفيها زيادة، وقد صحّ عنه بالنقل الذي لا شك فيه أنه قرأ وأقرأ على رسم السواد، فلذلك ينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير»[3].

٢ ـ في مصحف ابن مسعود: «ووصّى ربك» من التوصية. وقراءة العامة «وقضى ربك»[4] قال أبو حيّان: وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير، لأنها

---

(١) تأويل مشكل القرآن / ٣٤، ٣٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٣٤.
(٣) البحر ٢/ ٢٤٠.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

قراءة مخالفة لسواد المصحف، والمتواتر هو: «وقضى» وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القُراء السبعة»[1].

٣ ـ قرأ ابن مسعود: «لا يظلم مثقال نملة». وقراءة العامة: «مثقال ذرّة»[2].

٤ ـ قرأ ابن مسعود: «بيت من ذهب» وقراءة العامة: «بيت من زخرف»[3].

٥ ـ قرأ ابن مسعود: «عليها صوافن» والعامة: «عليها صوافّ»[4].

وهناك قراءات شاذة لابن مسعود ليست تفسيرية كالقراءات التي سبقت الإشارة إليها، لأنها تتفق مع رسم المصحف، والشذوذ تسرّب إليها من باب ضعف الرواية، ومن نماذج هذه القراءات ما يلي:

١ ـ قرأ ابن مسعود: «وكان عبد الله وجيهاً» وقراءة العامة: «وكان عند الله وجيهاً»[5].

٢ ـ قرأ ابن مسعود: «ولو جئنا بمثله مداداً» وقراءة العامة: «ولو جئنا بمثله مدداً»[6].

٣ ـ قرأ ابن مسعود: «من الكبر عَتياً» بفتح العين، وقراءة العامّة بكسر العين: «عِتياً»[7].

٤ ـ قرأ ابن مسعود: «من كل جدث ينسلون» وقراءة العامّة: «من كل حدب ينسلون»[8].

---

(١) البحر ٦/ ٢٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٠، وانظر البحر ٣/ ٢٥١.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٩٣، وانظر البحر ٦/ ٨٠.
(٤) سورة الحج: الآية ٣٦، وانظر المحتسب ٢/ ٨١.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٩، وانظر المحتسب ٢/ ١٨٥.
(٦) سورة الكهف: الآية ١٠٩، وانظر المحتسب ٢/ ٣٩.
(٧) سورة مريم: الآية ٢٨، وانظر المحتسب ٢/ ٣٩.
(٨) سورة الأنبياء: الآية ٩٦، وانظر المحتسب ٢/ ٦٦.

هذا وقد بلغت القراءات الشاذة المنسوبة إلى ابن مسعود في ضوء كتاب «المحتسب» أربعاً وسبعين قراءة»[1].

وقبل أن نختم الحديث عن تعدّد المصاحف نشير إلى أن هناك مصاحف أخرى منسوبة إلى مجموعة من الصحابة ذكرها السجستاني في «المصاحف» نذكر منهم: عبد الله بن عباس ـ عمر بن الخطاب ـ حفصة بنت عمر ـ عائشة بنت أبي بكر ـ أم سلمة ـ عبد الله بن عمرو ـ عبد الله بن الزبير[2].

ولم نتحدث عن هذه المصاحف اكتفاء بمصاحف كبار الصحابة التي تحدثت عنها سابقاً.

والحقيقة أن هذه المصاحف ليست إلا صحفاً أو أجزاء من القرآن الكريم كتبها كل واحد منهم بناء على ما سمع من الرسول عليه السلام، وأطلق عليها اسم المصاحف مجازاً، لأن جمع المصحف لم يكن لأحد من الصحابة قبل أبي بكر، وإلاّ لمَا تكلّف عناء جمعه على المنهج الصارم الذي تحدثنا عنه. وجميع هذه الصحف أو هذه الأجزاء كتبها كل منهم على ما سمع من ناحية، وعلى التفسير المذكور في الأحرف السبعة من ناحية أخرى.

ولا شك أن المصاحف التي خصصتها بمزيد من البحث لم تكن كاملة أيضاً فمصحف عليّ كرّم الله وجهه على فرْض أنه نجا من حريق عثمان فقد وجد ناقصاً كما حكى ابن النديم في الفهرست حيث ينقل عن ابن المنادي في سلسلة متصلة السند «عن عليّ عليه السلام أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه»[3].

---

(١) انظر فهرس المحتسب ٢/٥١٦.

(٢) انظر كتاب «المصاحف» لابن أبي داود ٥٥ ـ ٨٨.

(٣) انظر الفهرست ٢٨.

وهذه الرواية التي ساقها ابن النديم لا أطمئن إليها للأسباب التالية:

**أولاً:** لا يمكن أن يكون في طاقة البشر من يكتب القرآن الذي بين أيدينا في ثلاثة أيام. هذا أمر لا يطمئن إليه العقل حتى ولو كان الكاتب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه.

**ثانياً:** إملاء القرآن من حفظ القلب فقط من دون أن يكون هناك مجموعة تراجع هذا المحفوظ، وتعين علياً ـ كرم الله وجهه ـ في هذا الإملاء عمل غير متكامل قد يتسرّب إليه النقص أو الزيادة بسبب النسيان، وهو طبيعة من طبائع البشر.

على أن هذا المصحف كما يروي سيرته ابن النديم لم ير كاملاً، فقد قال ابن النديم: «وكان المصحف عند أهل جعفر، ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمه الله ـ مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط عليّ بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان»[1].

وهذا الخبر إن صحّ، وهو بشهادة ابن النديم نفسه الذي رأى هذا المصحف رأي العين يدلّ على أن مصحف علي لم يكن كاملاً، وكيف يتوارثه بنو حسن مع أنه بخطّ أبيهم، وهو على هذا النقص إن لم يكن في الأصل ناقصاً؟

وأمّا مصحف ابن مسعود، فقد عرفنا أنه سقط منه المعوذتان وأم الكتاب، وأمّا مصحف أبيّ فقد تحدث عن عدد آياته ابن النديم فقال: «وجميع آي القرآن في قول أبيّ بن كعب ستة آلاف آية ومائتان وعشر آيات»[2] مع أن ابن عباس يذكر أن آيات القرآن: «ستة آلاف آية، وستمائة آية، وست عشرة آية»[3].

وفي المصحف الذي بين أيدينا، والذي تمّ طبعه بمطبعة حكومة الكويت الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ينصّ معرّفه فيقول:

«واتبعت في عدّ آياته طريقة الكوفيين على حسب ما ورد في كتاب:

---

(١) الفهرست ٢٨.
(٢) المصدر نفسه ٣٠.
(٣) مفتاح السعادة ٢/ ٣٩٥.

«ناظمة الزُّهر» للإمام الشاطبي، وشرحها لأبي عبدٍ رضوانَ المخَللاتي، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي، وكتاب: «تحقيق البيان» للأستاذ الشيخ محمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً، وآي القرآن الكريم على طريقتهم ٦٢٣٦ آية»[١].

والذي حملني على هذه المقارنة هو أن نثبت أن مصحف أبيّ أيضاً لم يكن كاملاً، وإنما كمل القرآن بعد جمع أبي بكر له ـ كما تحدثت سابقاً.

ومن أجل تعدد المصاحف إلى جانب مصحف أبي بكر، وانتشار القراء في الأمصار تعدّدت القراءات، وثار الجدل، واحتدم النزاع، واتسعت الفروق بين القراءات، وأطلّت الفتنة برأسها على كتاب هذه الأمة فهيأ الله الخليفة الورع عثمان بن عفّان ليقضي على كل فتنة تحاول أن تمسّ جلال القرآن الكريم.

وبتوفيق الله وإلهامه قام عثمان رضي الله عنه بحركته التاريخية لتوحيد المسلمين على مصحف واحد حتى لا تطلّ رأس الفتنة، وحتى يجتث الخلاف من جذوره، وحتى تبقى للمسلمين هيبتهم وقوّتهم وتماسكهم بكتاب ربهم من دون خلاف[٢].

---

(١) انظر المصحف ص (ج) في التعريف.

(٢) لخص بحث تعدد المصاحف من مقدمة معجم القراءات بتصرّف.

## ١٢ ـ القيمة الدينيّة للقراءات القرآنية:

من القيم الدينيّة للقراءات القرآنية أن نتبيّن من دراستها القراءات المتواترة التي نقرؤها تعبّداً، والقراءات التي نأخذ بها في مجال الدراسات الشرعيّة واللغوية، وهي التي نطلق عليها القراءات الشاذّة.

ويترتّب على هذه المعرفة بروز قضيّة خطيرة أعلنت عن نفسها في حقل القراءات القرآنية، وهي:

هل تجوز القراءة في الصلاة بالقراءات الشاذّة؟

لقد دار حول هذه القضيّة حوار طويل، ونقاش حادّ ذكره ابن الجزريّ في كتابه النَّشر[١].

وعلى الرغم من أن أصحاب الشافعيّ وأبا حنيفة، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد يجوّزون القراءة في الصلاة بالشاذ. فإن أكثر العلماء منعوا القراءة بها في الصلاة، والصلاة بها باطلة.

والسبب في ذلك أن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبيّ ﷺ، وإن ثبت النقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني.

ومن القيم الدينية للقراءات أننا نأخذ بها سواء كانت متواترة أو شاذّة في بناء الأحكام الشرعيّة.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٤، ١٥.

أ ـ **في الميراث**: قراءة حفص في المصحف الذي بين أيدينا: ﴿**وإن كان رجل يورثُ كلالَة أو امرأةٌ وله أخ أو أُخت فلكلّ واحد منهما السدُس**﴾ [النساء: ١٢] وقرأها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وآخرون: «وله أخ أو أخت من أم» بزيادة «من أم».

فإن القراءة الأولى المتواترة تُفسّر على أنّ المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم بناءً على هذه القراءة الشاذة.

ب ـ **في كفّارة اليمين**: نجد أن القراءة مرجحة لحكم اختلف فيه، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿**لا يؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم، ولكن يُؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوْسط ما تُطْعمون أهليكم أو كِسوتهم أو تحرير رقبة**﴾ [المائدة: ٨٩] وقد وردت الكفارة في القتل: ﴿**أو تحرير رقبة مؤمنة**﴾ [النساء: ٩٢].

وقد اختلف العلماء في تحرير الرقبة، وفلو أعتق إنسان كيف ما كان فالإعتاق يجزىء من منطوق هذه الآية، ولكن الشافعي رضي الله عنه اشترط الإيمان في الرقبة بناء على القراءة الأخرى في كفارة القتل، والتي تشترط إيمان الرقبة.

ج ـ **في العبادات**: غسل الأرجل أو مسحها في الوضوء: وردت قراءة: ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم**﴾ [المائدة: ٦]، فقراءة حفص عن عاصم وأرجلكُم «بالنصب معطوفة على «وجوهكم» فتكون الأرجل مغسولة والجر عطفاً على برءوسكم، فتكون الأرجل ممسوحة، فبين النبي ﷺ القراءتين، فجعل المسح للابس الخُفّ، والغسل لغيره.

د ـ **في الظواهر الكونية**:

هناك قراءات قد تفسر الظواهر الكونية، ففي الآية السادسة والثمانين من سورة الكهف وهي: «حتى إذا بلغ مَغْرَب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة» وهي قراءة حفص عن عاصم في المصحف الذي بين أيدينا، ومعنى حمئة: أنها مملوءة بالماء والطين من الحمأة.

وقرأها الباقون أي غير عاصم من القراء: «في عين حامية».

ويذكرون لهاتين القراءتين قصة وقعت بين معاوية رضي الله عنه، ومجموعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمرو وابن عباس، فقد قرأها معاوية: «في عين حامية» واعترض ابن عباس قائلاً: ما نقرؤها إلاّ حمئة، فالتفت معاوية إلى عبد الله بن عمرو وهو عالم بالقراءات يسأله، كيف تقرؤها، فأجاب: كما قرأتها يا أمير المؤمنين، وغضب ابن عباس حينما اتهم بالجهل بالقرآن فهتف محتجاً: «في بيتي نزل القرآن».

وحسماً للخلاف أرسل معاوية إلى كعب الأحبار. وكان عالماً من علماء اليهود أسلم، وأصبح من كبار التابعين فقال له معاوية: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فأجاب: أمّا العربية فأنتم أعلم بها، وأمّا أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين فوافقه ابن عباس[1].

**وجه من وجوه القراءات:**

على أننا إذا ألقينا نظرة على معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٤٨٨٠ رأينا أن قراءة «حامية» من القراءات السبع فقد قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي[2] ويفسّرها ما رواه أبو ذر من أنه كان ردف رسول الله ﷺ وهو على حمار فرأى الشمس حين غربت فقال: يا أبا ذر: أين تغرب هذه؟ فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تغرب في عين حامية بل ينسب إلى عبد الله بن عمرو نفسه أنه قال: إن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، ولولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض».

ومن القراءات القرآنية التي تفسّر الظواهر الكونية، وتتفق مع الظواهر العلمية ما ذكر الآلوسي في تفسير قراءة: ﴿**والشّمس تَجْري لِمُسْتقرّ لها**﴾ [يس: ٣٨] وهي قراءة حفص عن عاصم في المصحف الكريم الذي بين

---

(١) انظر: القرآن وعلومه في مصر ١٥٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٤.

أيدينا. وتناول الآلوسيّ تفسير هذه القراءة السبعية قائلاً: «تجري لمستقرّها تحت العرش، فالمستقرّ: اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة.

قال الواحديّ: وعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرّت تحت العرش إلى أن تطلع.

وساق ابن حجر في فتاويه جملة من الأخبار تتعلق بالموافقة على هذا التفسير.

على أن هذا التفسير لم يقتنع به أئمة آخرون لهم وزنهم الديني ومكانتهم في عالم التفسير والعلوم الإسلامية، وعلى رأس هؤلاء إمام الحرمين فقد ذكر أن لا خلاف في أنها تغرب عند قوم، وتطلع على آخرين، والليل يطول عند قوم، ويقصر عند آخرين. وهناك من الأماكن ما تكون فيه السّنة نصفُها ليل، ونصفُها نهار. والأدلة قائمة على أنها لا تسكن عند غروبها، وإلاّ لكانت ساكنة عند طلوعها بناء على أن غروبها في أفق وطلوعها في أفق آخر.

وأيضاً هي قائمة على أنها لا تفارق فلكها، فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش.

وقد وقف الآلوسيّ حائراً في حلّ هذه المشكلة حتى قال: وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الأخبار الصحيحة وبين ما يقتضي خلافها من العيان والبرهان فلم أوفق لأن أفوز بما يروي الغليل، ويشفي العليل.

رحم الله الألوسيّ، فقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها.

وفي رأيي أن الآلوسي لو نظر إلى القراءة الأخرى التي تفسر هذه القراءة، والقراءات يفسّر بعضها بعضاً ـ لما وقع في هذه الحيرة، فهناك قراءة أخرى: ﴿**والشمس تجري لا مستقر لها**﴾، وهي قراءة تتفق مع العلوم

---

(١) انظر قراءة رقم ٧٣٠٠ في معجم القراءات القرآنية.

الفلكيّة، وتنسجم مع النظريات العلميّة التي تؤكد أن الشموس والنجوم والكواكب، والأقمار كلها متحرّكة غير ساكنة، لأنها تدور حول نفسها تارة وحول غيرها تارة أخرى وهذا ما نجده في النصّ القرآني نفسه في هذا الموضع بعينه كما يقول القرآن الكريم: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون**﴾ على أن هذه القراءة الثانية قرأ بها مجموعة من الصحابة والتابعين.

فمن الصحابة: عبد الله بن مسعود، وابن عباس وعكرمة.

ومن التابعين: عطاء بن رباح، وعليّ بن الحسين، وجعفر الصادق.

وبعد:

فإني أختم هذا البحث عن القيمة الدينية للقراءات بما ذكره ابن الجزري في النشر، حيث تعرّض لهذه القيمة بأسلوب ممتع، وبيان فيّاض، فماذا قال:

قال ما نصه: [**فائدة**]: اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد. منها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز.

ومنها: ما في ذلك عظيم البرهان، وواضح الدلالة. إذا هو مع كثرة هذا الاختلاف، وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبيّن بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد، وأسلوب واحد وما في ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

ومنها: سهولة حفظه، وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والإيجاز، فإنه من يحفظ كلمة، ذات أوجه أسهل عليه، وأقرب إلى فهمه، وأوعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات، لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً، وأيسر لفظاً.

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته وإنعامهم النظر، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل بقدر ما تبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة، وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال.

ومنها: ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة لهذه الأمة الشريفة من إسنادها كتاب ربها... وكل قارىء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله.

ومنها: ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل.. فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار من إمام حجّة قائم بنقل كتاب الله، وإتقان حروفه، ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مرّ الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور»[1].

هـ ـ القراءات الشاذة توضح المعنى المراد:

قد تحتمل الآية القرآنية معنيين أو أكثر، فالقراءات الشاذة توضح المراد وتكشف المبهم، وتحدّد المعنى المختار.

١ ـ ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾**[2].

---

(١) النشر: ج ١ ص ٥٢، ٥٣، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

اختلف المفسّرون والفقهاء اختلافاً كبيراً في هذه الآية، فأبو بكر ابن الأنباري يقول: «الوقف على: «وما يعلم تأويله إلاّ الله»: تامٌّ[1] لمن زعم أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم»[2].

ومن الفقهاء الذين أيدوا هذا الوقف فقهاء الحنفية «القائلون بأن المتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه، فالراسخون مبتدأ، وجملة يقولون خبر عنه»[3].

ويسرد ابن الأنباري الرأي الآخر في الوقف، ويعتبره الوقف الحسن فقال: «عن مجاهد في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ قال: والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به، فعلى مذهب مجاهد: «الراسخون» مرفوع على النسق على «الله». والوقف على «في العلم» حسن غير تام، لأن قوله: «يقولون آمنا به» حال من الراسخين، كأنه قال: «قائلين آمنا به» فالوقف قبل الحال غير تام»[4].

وهذا الرأي «هو الذي ذهب إليه الشافعية، وسائر من فسّر المتشابه بما لم يتّضح معناه.

وهذا الرأي الثاني رجحه الألوسي في تفسيره بعدّة وجوه[5].

والذي يعنينا من هذه القضية هو أن هناك قراءات شاذة ترجح الرأي الأول وهو أن تأويله موقوف على الله تعالى وحده وهو ما ذهب إليه الأحناف كما بيّنا.

وهذه القراءات الشاذة متمثلة في قراءة ابن مسعود: «إنْ تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون»، وقراءة أبيّ: «ويقول الراسخون في العلم» والوقف على قوله: «آمنّا به»: حسن[6].

---

(١) انظر الوقف التام ومعناه في بحث مصطلحات في علم القراءات ٩٨ من هذا الكتاب.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٥.

(٣) تفسير الألوسي ٣/ ٨٤.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء.

(٥) انظر تفسير الألوسي ٣/ ٨٤.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٥٦٦، وانظر في هذه القراءات معجم القراءات القرآنية قراءة رقم ٩٢٦، ٩٢٧.

واضحٌ إذاً أن القراءات الشاذة ساعدت في فهم المعنى المراد من هذه الآية وقوّت رأياً على رأي، ورجحت جانباً على جانب.

* * *

٢ ـ ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: قراءة طلحة:

«ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة، وهي على الظالمين ساءت الغاشية».

وقراءة العامة أوالجمهور: «ليس لها من دون الله كاشفة»[١].

قال ابن جني: «هذه القراءة تدل على أن المراد بقراءة الجماعة «ليس لها من دون الله كاشفة» حذف مضاف بعد مضاف.

ألا ترى أن تقديره: «ليس لها من جزاء عبادة معبود دون الله كاشفة؟ فالعبادة على هذا مصدر مضاف إلى المفعول كقوله: «بسؤال نعجتك»[٢] و «لا يسأم الإنسان من دعاء الخير»[٣]. ثم حذف المضاف الأول، فصار تقديره ليس لها من عبادة معبود دون الله كاشفة، ثم حذف المضاف الثاني الذي هو: «عبادة»، فصار تقديره: ليس لها من معبود دون الله كاشفة، ثم حذف المضاف الثالث، فصار إلى قوله: «ليس لها من دون الله كاشفة» وهذا على تقديرك: «دون الله» اسماً هنا، لا ظرفاً، لأن الإضافة إليه تسلبه معنى الظرفية التي فيه كقولهم:

* يا سارق الليلة أهل الدار*[٤]

وتلك عادة سيبويه إذا أراد تجريد الظرف من معنى الظرفية فإنه يمثله بالإضافة إليه، وذلك مما ينافي تقدير حرف الجرّ معه، لأن حرف الجرّ

---

(١) سورة النجم: الآية ٥٨.
(٢) سورة ص: الآية ٢٤.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٩.
(٤) من شواهد سيبويه ١/ ٨٩، ٩٠، ٩٩، وابن الشجري ٢/ ٢٥١، وابن يعيش ٢/ ٤٥، ٤٦، والخزانة ١/ ٤٨٥، ٢/ ١٧٢، ١٧٩، والهمع والدرر رقم ٧٩٣. وقائله مجهول.

يسقط، فلا يعترض بين المضاف والمضاف إليه».

وبعد هذا التحليل لهذه القراءة أحسّ ابن جني أن كثرة المحذوفات قد لا تتفق مع سلامة الأسلوب، وارتباط المعاني، فبادر على الفور لينزع هذا الشك من النفس فقال: «ولا تستنكر كثرة المضافات المحذوفة هناك، فإن المعنى إذا دلّ على شيء، وقبله القياس مُضي على ذلك، ولم يستوحش منه، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: «فقبضت قبضة من أثر الرسول»[1] ألا ترى أن معناه: من تراب أرض أثر وطء حافر فرس الرسول، أي من تراب الأرض الحاملة لأثر وطء فرس الرسول[2].

و ـ القراءات الشاذة والتفسير اللغوي:

قد تحوي الكلمات الشاذة كلمات توضح معاني الكلمات التي وردت في قراءة العامة أو الجمهور.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ قراءة أبيّ «فتذروها كالمسجونة» وقراءة الجمهورة «كالمعلقة»[3].

٢ ـ قراءة أبيّ «للّذين يقسمون من نسائهم» وقراءة الجمهور: «يؤلون من نسائهم»[4].

٣ ـ قراءة أبيّ: «وإذا طاف طائف من الشيطان تأملوا» وقراءة الجمهور: «إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا»[5].

٤ ـ قراءة ابن مسعود: «بيت من ذهب» وقراءة الجمهور: «بيت من زخرف»[6].

---

(١) سورة طه: الآية ٩٦. (٢) المحتسب ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٩، وانظر البحر ٣/ ٣٦٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٦، وانظر البحر ٢/ ١٨٠.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٠١، وانظر البحر ٤/ ٢٥٠.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٩٣، وانظر البحر ٦/ ٨٠.

٥ ـ قراءة ابن مسعود: «لا يظلم مثقال نملة» وقراءة الجمهور: «لا يظلم مثقال ذرة»[١].

٦ ـ قراءة ابن مسعود: «عليها صوافن» وقراءة الجمهور: «عليها صواف»[٢].

٧ ـ قراءة ابن مسعود: كالصوف المنفوش وقراءة الجمهور: «كالعهن المنفوش»[٣].

٨ ـ قراءة ابن مسعود وإبراهيم: «وزوجناهم بعيس عين» وقراءة الجمهور: وزوجناهم بحور عين»[٤].

قال ابن جنى في المحتسب: الأعيس: الأبيض، وإن المرأة العَيْسَاء: البيضاء، ومنه جمل أعيس، وناقة عيساء، وقال في وصف امراءة:

* كأنها البكرة العيساء*[٥]

ز ـ القراءات الشاذة والتيسير اللغوي:

لا شك أن القراءات الشاذة مورد ضخم لكثير من الاستعمالات اللغوية التي تدل في ظاهرها على بعدها من البناء اللغوي السليم.

وعند التدقيق والتحقيق يتبين لنا أن هذه الأساليب التي نرميها بالبعد عن العربية، لها ما يسندها من القراءات القرآنية.

وفي بحث نشره الزميل الدكتور أحمد مختار في كتاب: «الموسم الثقافي لكلية البنات الجامعية عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ بعنوان: «القيمة اللغوية

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٠، وانظر البحر ٣/ ٢٥١.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٦، وانظر المحتسب ٢/ ٨١.

(٣) انظر معجم القراءات قراءة رقم ١٠١٦٦، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥٨، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٧٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦.

(٤) سورة الطور: الآية ٢٠.

(٥) انظر المحتسب ٢/ ٢٦١، ٢٩٠.

للقراءات القرآنية» أشار إلى هذه الظاهرة في عدة نقاط نلخصها فيما يلي:

١ ـ الفعل «توفى» ففي اللسان: «وفى» يقال: «تُوفِّي فلان وتوفّاه الله: إذا قبض نفسه، وفي الصحاح: إذا قبض روحه فالوفاة للإنسان من الله تعالى، تقع عليه، ومن هنا كان الفعل تُوفي مبنياً للمجهول دائماً في اللغة الفصحى.

وفي استعمالاتنا اللغوية الشعبية نقول: فلان تَوفّى، ونرمي من يقول هذا بالجهل، وعدم استيعاب اللغة الفصيحة.

يقول الدكتور مختار «جاءت القراءة القرآنية مصححة النطق الحديث، وذلك في قوله تعالى: «ومنكم من يُتَوفّى، ومنكم من يُرَدّ إلى أرذل العمر»[١].

فقد قرأ الأعمش وغيره: ومنكم من يَتوفّى «بالبناء للمعلوم»[٢].

أقول حينما جاءت الآية القرآنية الشاذة مصححة بهذا الاستعمال فما علينا ضير إذا استعملنا هذا التعبير.

٢ ـ الفعل هُرِع في كتب اللغة مبنيّ للمجهول دائماً، ومضارعه يُهرَعُ فإذا قيل: إن فلاناً هَرَع بالبناء إلى المعلوم إلى أداء الواجب رمينا من قال بهذه الصيغة بأنه خرج عن الخط اللغوي السليم.

«ولكن من القرّاء من قرأ: «وجاءه قومُه يَهرْعون إليه»[٣].

وعلى الرغم من أن هذه القراءة مجهولة القارىء إلاّ أننا نعتمد عليها في المجال اللغوي لتصحيح بناء يهرعون للمعلوم، وأنه لا ضير على استعماله بناء على هذه القراءة.

ومما يدل على أن القراءة الشاذة مقيدة بالرواية أن هذه الصيغة كررت في «الصافات» في قوله تعالى: «فهم على آثارهم يُهرعون»[٤] وجاءت على

---

(١) سورة الحج: الآية ٥ وانظر هذه القراءة في معجم القراءات قراءة رقم ٥١٧.
(٢) انظر ص ٥٤ من كتاب الموسم الثقافي.
(٣) سورة هود: الآية ٧٨، وانظر الصفحة نفسها من كتاب «الموسم الثقافي».
(٤) سورة الصافات: الآية ٧٠.

اللغة الفصيحة بالبناء للمجهول، وإلا لقرئت مرة أخرى في هذا الموضع بالبناء للمعلوم، لأن الذي قرأها في هود شاذة بالبناء للمعلوم من السهل أن يسير على مذهبه فيقرؤها في الصافات بالبناء للمعلوم، ولكن القراءة حتى ولو كانت شاذة ليست رأياً أو مذهباً أو منهجاً، ولكنها سماع ورواية.

٣ ـ استعمال كلا مع المثنى المؤنث المجازي:

يذكر الزميل الفاضل أنه «يشيع في الاستعمال الحديث استعمال: «كلا» مع المؤنث المجازي التأنيث، فنقول: كلا الدولتين، وكلا الصحيفتين. ونحو ذلك. وقد جاءت القراءة القرآنية لتصحح هذا الاستعمال. وذلك في قوله تعالى: «كلتا الجنتين آتت أكلها»[١] فقد قرأها ابن مسعود: «كلا الجنتين آتت أكلها، قال في البحر: أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازي»[٢].

ونكتفي بهذا القدْر من النقاط التي سردها الزميل الدكتور مختار في بحثه القيم بعنوان «القيمة اللغوية للقراءات القرآنية».

ومن خلال هذه النقاط تبين لنا أن القراءات القرآنية، وبخاصة القراءات الشاذة يجب أن يعاد فيها النظر من حيث الدراسة والبحث لاستخراج ظواهر لغوية قد تصحح الكثير من أساليبنا اللهجية الحديثة، وبدلاً من أن يخطىء بعضنا بعضاً من غير رويّة علينا أن نطمئن أولاً، هل هذه الأساليب لها ما يقابلها من القراءات، إن كان الجواب بنعم فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب، وإن كان الجواب بالنفي قررنا أن هذه الأساليب ليست عربية الاستعمال.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٣.

(٢) انظر هذا النص في ٥٦ من كتاب «الموسم الثقافي».

## ١٣ ـ مصطلحات في علم القراءات:

### ١ ـ القرآن:

يرى الشافعي: أنه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى.

ويرى الفراء: أنه مشتق من القرائن، لأن الآيات فيه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن.

ويرى الزجاج: أنه وصف على: «فُعلان» مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه: قرأت الماء في الحوض، أي جمعته.

ويرى قطرب: أنه سمّي قرآناً، لأن القارىء يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب: ما قرأت الناقة سلىً قط، أي ما رمت بولد.. والقرآن يلفظه القارىء من فيه، ويلقيه، فنسمّيه قرآناً.

ويرى السيّوطي بعد عرضه هذه الآراء في «الإتقان» أن رأي الشافعي أسلم الآراء حيث يقول: «والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعيّ»[1].

ويرى ابن عطية أن القرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل: إذا تلا يقرأ قرآناً وقراءة.

ويستدل ابن عطيّة لتأكيد مصدريته بقول حسان رضي الله عنه يرثي عثمان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجّود به  يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي قراءة[2].

* * *

(١) انظر: الإتقان ١/ ٥٠.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ٢٨٤.

٢ ـ السورة:

أ ـ من الناحية اللغوية:

قال فيها القتيبي ما نصه: «السورة تهمز، ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت أي أفضلت من السؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن.

ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم، وسهل همزتها.

ومنهم من شبهها بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة. وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسّور، ومنه السّوار لإحاطته بالساعد، وعلى هذا فالواو أصليّة.

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً، وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات[١].

ب ـ من الناحية الاصطلاحية:

قال الجعبريّ: حد السّورة قرآن يشتمل على آيٍ ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات»[٢].

* * *

٣ ـ الآية:

أ ـ المعنى اللغوي: لها من الناحية اللغوية ثلاثة معان:

١ ـ جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

٢ ـ العجب: تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، فكأن كل آية عجبٌ في نظمها، والمعاني المودعة فيها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٦٤.

٣ ـ العلامة: تقول العرب: خربت دار فلان، وما بقي لها آية، أي علامة، فكأن كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ.

ب ـ المعنى الاصطلاحيّ:

قال الجعبري: حد الآية قرآن مركب من جُمَلٍ ولو تقديراً، ذو مبدأ أو مقطع مندرج في السورة.

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها»[1].

* * *

٤ ـ المثاني:

يسمى القرآن الكريم بالمثاني، لأن فيه بيان قصص الكتب الماضية فيكون البيان ثانياً للأول الذي تقدمه، فيبيّن الأول الثاني. وقيل: إنه اسم الفاتحة وحدها.

* * *

٥ ـ القراءات:

بيّن الزركشي في كتاب البرهان معنى القراءات والتفرقة بين معناها ومعنى القرآن فقال:

«القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي[2] المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز.

والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيره.

وهذه القراءات كما يقول جلال الدين البلقيني: تنقسم إلى متواتر، وأحاد، وشاذ.

فالمتواتر: القراءات السبع المشهورة.

---

(١) البرهان ١/٢٦٦.

(٢) انظر الإتقان ١/٨٠.

والأحاد: قراءات الثلاثة[1] التي هي تمام العشرة، ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ: قراءة التابعين كالأعمش[2].

* * *

٦ ـ المصحف:

في اللسان: «صحف»: المُصْحفَ والمِصْحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين. قال الفراء: يقال: مُصْحفٌ، ومِصْحف كما يقال: مُطْرف ومِطرفٌ.

وهناك خبر ساقه صاحب البرهان [١/ ٢٨١، ٢٨٢] لا ندري ما صحته وهو منسوب للمظفريّ القاضي شهاب الدين بن عبد الله بن أبي الدم الحموي المتوفي ٦٦٢ هـ، والخبر هو «قال المظفريّ في تاريخه: لما جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلاً فكرهوه،

---

(١) الثلاثة هم:
أ ـ أبو جعفر: يزيد بن القعقاع المخزومي التابعي إمام المدينة النبوية توفي سنة ٣٠ هـ.
ب ـ يعقوب: أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي انتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو بالبصرة. ولد سنة ١١٧ هـ وتوفي سنة ٢٠٥ هـ.
ج ـ خلف: هو الإمام محمد خلف بن هشام البزار ـ بالزاي والراء ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٢٩هـ ببغداد.

(٢) اشتهر من التابعين أربعة قراء وهم:
أ ـ ابن مُحَيْصِن: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكي، توفي ١٢٣.
ب ـ اليزيدي: أبو محمد: يحيى بن المبارك، ولد ١٢٨، وتوفي ٢٠٢ هـ.
ج ـ الحسن البصريّ: الإمام أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، ولد سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة ١١٠ هـ.
د ـ الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران. ولد سنة ستين، وتوفي سنة ١٤٨. وانظر الإتقان ١/ ٧٥.

وقال بعضهم: سمّوه: السِّفْر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف، فسمّوه به».

* * *

**٧ ـ المقرىء:**

هو العالم بالقراءات، رواها مشافهة، فلو حفظ الشاطبية مثلاً فليس له أن يقرأ بما فيها إن لم يشافهه مَن شوُفه به مُسلْسلاً، لأن في القراءات شيئاً لا يحكم إلاّ بالسماع والمشافهة[1].

* * *

**٨ ـ القارىء:**

أ ـ المبتدىء: هو من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات.

ب ـ المتوسط: إلى أربع أو خمس.

ج ـ المنتهي: هو من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها[2].

* * *

**٩ ـ الرسم:**

أ ـ قياسيّ، وهو موافقة الخطّ للفظ.

ب ـ اصطلاحي: وهو مخالفته ببدل أو زيادة أو حذف أو فصل أو وصل للدلالة على ذات الحرف أو أصله، أو رفع اللّبْس.

ومن الأمثلة:

١ ـ حرف بدل على الرسم ويلفظ به اتفاقاً مثل: «اصبطر».

٢ ـ حرف يرسم ولا يلفظ به اتفاقاً مثل: «الصلوٰة».

---

(١) لطائف الإشارات ١/ ١٧١.

(٢) الإتحاف /٥.

٣ ـ حرف يرسم، ويختلف في اللفظ به مثل: «الغدٰوة».

٤ ـ حرف يزاد ويلفظ به مثل: «حسابيه».

٥ ـ حرف يزاد ولا يلفظ به اتفاقاً مثل: «أولئك» و «مائة».

٦ ـ حرف يزاد ويختلف فيه مثل: «سُلطانِيَهْ».

ثم عقب صاحب الإتحاف بعد هذه الأمثلة بقوله:

«وأكثر رسم المصحف موافق لقواعد العربيّة إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا اتباع مرسومها، فمنها ما عرف حكمه، ومنها ما غاب عنّا علمه، ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل عن أمر عندهم قد تحقق»[1].

* * *

١٠ ـ فرش الحروف:

هو ما قلّ دوره من حروف القراءات المختلف فيها، لأنها لما كانت مذكورة في أماكنها من السّور، فهي كالمفروشة بخلاف الأصول، لأن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع. وسمّى بعضهم الفرش فروعاً مقابلة للأصول»[2].

* * *

١١ ـ الإدغام الكبير:

الإدغام: هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثّاني مشّدداً.

والإدغام الكبير: ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً سواء أكان الحرفين مثلين أم جنسين أم متقاربين.

وسمّي كبيراً لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السّكون.

* * *

---

(١) الإتحاف/ ١٠. (٢) سراج القارىء/ ١٤٨.

**١٢ ـ الإدغام الصغير:**

هو الذي يكون فيه الحرف الأول من الحرفين ساكناً[١].

* * *

**١٣ ـ الوقف:**

هو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنيّة الإعراض[٢].

والوقف أربعة أقسام:

١ ـ تامّ: وهو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كقوله تعالى: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾[٣].

٢ ـ الكافي: وهو منقطع في اللفظ، متعلّق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما بعده نحو: «﴿**حرّمت عليكم أمهاتكم**﴾[٤].

٣ ـ الحسن: وهو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلّقه به في اللفظ والمعنى نحو: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم.

٤ ـ القبيح: وهو الذي لا يفهم منه المراد مثل: الحمد، فلا يوقف عليه ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البدل دون المبدل منه[٥].

* * *

**١٤ ـ الإشمام:**

هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت.

---

(١) النشر ١/ ٢٧٤، ٢٧٥.
(٢) النشر ١/ ٢٤٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٥.
(٤) سورة النساء: الآية ٢٣.
(٥) البرهان ١/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢.

وقال بعضهم: أن تَجْعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة، وكلاهما واحد ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف.

والكوفيون يسمّون الإشمام رَوْماً، والروم إشماماً».

* * *

**١٥ ـ الاختلاس:**

هو الإتيان بثلثي الحركة أو بأكثرها[١].

* * *

**١٦ ـ الرَوم:**

هو عبارة عن الإتيان بأقل الحركة: أو هو النطق ببعض الحركة.

وقال بعضهم: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها وكلا القولين واحد. وهذا التعريف عند القُراء.

وعند النحاة: هو عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفيّ[٢].

* * *

**١٧ ـ المدّ:**

وهو طول زمان الصوت وهو في مصطلح القراءات: عبارة عن زيادة المدّ من حروف المد لأجل همزة أو ساكن[٣].

* * *

**١٨ ـ التحقيق:**

عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات وتوفية الغنّات[٤].

* * *

---

(١) الإتحاف /١٣٦.
(٢) النشر ١/ ١٢١، والاتحاف/١٣٦.
(٣) سراج القارىء /٤٨.
(٤) التيسير /٣١، ٣٢.

**١٩ ـ الحدر:**

هو مصدر من حدر بالفتح يحدُر بالضم إذا أسرع، وهو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر، والتسكين، والاختلاس، وتخفيف الهمزة، ولا يخرج عن حدّ الترتيل.

**٢٠ ـ التدوير:**

هو عبارة عن التوسّط بين المقامين من التحقيق والحدر[١].

* * *

**٢١ ـ الترتيل:**

هو مصدر من رتّل فلان كلامه: إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم له من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن، قال الله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾[٢].

* * *

**٢٢ ـ التجويد:**

هو مصدر من جوّد تجويداً.

وهو عبارة عن الإتيان بالقراءة مجوّدة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق.

ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ الغاية في التحسين»[٣].

* * *

**٢٣ ـ الاختيار:**

معناه: أن القارىء اختار قراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به.

---

(١) النشر ١/ ٢٠٥.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(٣) انظر في الترتيل والتجويد النشر ١/ ٢١٠ ـ ٢١٢.

فآثره على غيره، وداوم عليه، ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء.

وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي[1].

* * *

**٢٤ ـ الحرف:**

معنى الحرف: كالحدّ ما بين القراءتين. وقيل أيضاً: إن الحرف المراد به الحروف كما قال الله تعالى: ﴿**والملَك على أرجائها**﴾[2] أي والملائكة، وقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم أي الدنانير والدراهم.

والمعنى أن القارىء يؤدي حروف أبي عمرو بأعيانها من غير زيادة ولا نقصان[3].

**٢٥ ـ مصطلحات القراء:**

أ ـ مكيّ: علماء مكة كابن كثير ومجاهد.

* * *

ب ـ مدنيّ: علماء المدينة كيزيد، ونافع، وشيبة، وإسماعيل.

١ ـ يزيد: هو أبو جعفر القارىء، يزيد بن القعقاع المخزومي إمام المدينة النبويّة، تابعيّ، توفي سنة ١٣٠ هـ على الأصح[4].

٢ ـ نافع تقدمت ترجمته «من القراء السبعة».

٣ ـ شيبة: شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المقرىء

---

(١) انظر النشر ١/٥٢.
(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧.
(٣) سرّ الفصاحة/ ١٥.
(٤) لطائف الإشارات ١/٩٧.

الإمام مولى أم سلمة رضي الله عنها، وأحد شيوخ نافع في القراءة وقاضي المدينة ومقريها مع أبي جعفر. أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. وتوفي سنة ١٣٠ هـ[١].

٤ ـ إسماعيل بن جعفر، ويقال له: إبراهيم المدنيّ، قرأ على شيبة بن نصاح توفي سنة ١٨٠ هـ[٢].

* * *

جـ ـ بصري: عاصم الجحدري:

وهو عاصم بن أبي الصباح العجاج، وقيل ميمون الجحدري البصري مات قبل الثلاثين ومائة[٣].

* * *

د ـ شاميّ: كابن عامر، والذماري، وشريح.

١ ـ ابن عامر: من القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

٢ ـ الذماريّ: يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى، ويقال: أبو عمرو ويقال: أبو عليم الغسّاني الذماري ثم الدمشقي، شيخ الإقراء بدمشق، توفي سنة ١٤٥ هـ[٤].

٣ ـ شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرميّ الحمصيّ، صاحب القراءة الشاذّة ومقرىء الشام، وهو والد حيوة بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة، مات ٢٠٣ هـ[٥].

هـ: كوفي: عبد الله بن حبيب السلمّي، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/٦٤، ٦٥.
(٢) غاية النهاية ١/١٦٢.
(٣) غاية النهاية ١/٣٤٩.
(٤) غاية النهاية ١/٣٦١.
(٥) غاية النهاية ١/٣٢٥.

١ ـ عبد الله بن حبيب بن ربيعة أو عبد الرحمن السلميّ الضرير، مقرىء الكوفة، وتوفي سنة ٧٤ وقيل: ٧٣ هـ[١].

٢ ـ عاصم من القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

٣ ـ الكسائي في القراء السبعة، وتقدمت ترجمته.

و ـ حرميّ: عند اتفاق المكيّ والمدنيّ.

* * *

ز ـ عراقي: عند اتفاق البصري والكوفي.

ح ـ دمشقي: عند مخالفة شريح لصاحبيه.

ط ـ حمصي: عند انفراد شريح عن صاحبيه.

* * *

ي ـ الحرميان: نافع وابن كثير[٢].

* * *

ك ـ الإبنان: ابن كثير وعبد الله بن عامر[٣].

ل ـ الأخوان: حمزة بن حبيب، وأبو الحسن الكسائي[٤].

م ـ عليّ: عند انفراد الكسائي.

ن ـ النحويان: الكسائي وأبو عمرو.

س: الكوفيون: الأخوان وعاصم[٥].

* * *

---

(١) غاية النهاية ١/٤١٣، ٤١٤. (٢) تقدمت ترجمتهما فهما من القراء السبعة.

(٣) تقدمت ترجمتهما فهما من القراءة السبعة.

(٤) تقدمت ترجمتهما فهما من القراءة السبعة.

(٥) انظر هذه المصطلحات في غيث النفع /٤٥، ٤٦.